النجارية وموقفهم من التوحيد

إعداد
دكتور/ عبد الرحمن الشدّي
أستاذ مساعد بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة
كلية أصول الدين
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد.

فهذا بحث مختصر عن النجارية وموقفهم من التوحيد، وستتكون خطة البحث من تمهيد، وفصلين:

أما التمهيد: فسيكون عن فرقة النجارية هل هي فرقة مستقلة، أو تابعة لغيرها؟

وأما الفصلان، فسيكونان على النحو التالي:

الفصل الأول: في التعريف بفرقة النجارية، وتأريخهم، وفرقهم، وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالفرقة.

المبحث الثاني: ألقابهم.

المبحث الثالث: تأريخهم، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: زمنهم.

المطلب الثاني: موطنهم.

المبحث الرابع: كتبهم.

المبحث الخامس: فرقهم.

المبحث السادس: مصادر التلقي عندهم.

المبحث السابع: مذاهب تشبه مذهب النجارية.

الفصل الثاني: موقف النجارية من التوحيد، وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: قولهم في تعريف التوحيد وأنواعه.

المبحث الثاني: قولهم في توحيد الربوبية، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: كيفية حصول المعرفة.

المطلب الثاني: دليل الحوادث الأعراض.

المطلب الثالث: قولهم في الجوهر والجسم.

المبحث الثالث: قولهم في أسماء الله الحسنى، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: قولهم في الأسماء.

المطلب الثاني: قولهم في اسم النور.

المطلب الثالث: قولهم في الاسم والمسمى.

المبحث الرابع: قولهم في الصفات.

المبحث الخامس: قولهم في القرآن، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: قولهم القرآن مخلوق.

المطلب الثاني: شبهتهم والجواب عنها.

المطلب الثالث: قولهم في الحرف والصوت.

المبحث السادس: قولهم في العلو.

الخاتمة.

المراجع.

تمهيد

النجارية طائفة كبيرة من أهل الكلام كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية [1].

وقد اختلف الناس في النجارية هل هم فرقة مستقلة؟ أم لا؟ على رأيين:

الرأي الأول: أنهم فرقة مستقلة، وممن قال بهذا الرأي الأشعري فقد عقد لهم مبحثا مستقلا فقال: " ذكر قول الحسين بن محمد النجار " [2]، و كذا عبد القاهر البغدادي عقد لهم فصلا مستقلا فقال: " الفصل الخامس من فصول هذا الباب في ذكر مقالات الفرق النجارية"[3]، وهكذا الاسفراييني عقد بابا مستقلا قال فيه: "الباب السابع: في تفصيل مقالات النجارية وبيان فضائحهم"[4]، وممن اختار هذا الرأي الشيخ عبد القادر الجيلاني في كتاب الغنية فقال:" فأصل ثلاث وسبعين فرقة عشرة: أهل السنة، والخوارج، والشيعة، والمعتزلة، والمرجئة، والمشبهة، والجهمية، و الضرارية، والنجارية، والكلابية " [5]، وممن قال به شيخ الإسلام ابن تيمية، يقول شيخ الإسلام:

" النجار ليس هو من المعتزلة بل هو رأس مقالة. وهو يخالف المعتزلة في القدر فيثبته وفي غير ذلك من أصول المعتزلة لكنه يوافقهم على نفي الصفات ويخالفهم أيضا في مسائل الأسماء والأحكام والوعيد " [6].

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٣ / ٣٥٥).

(٢) مقالات الإسلاميين (١ / ٣٤٠).

(٣) الفرق بين الفرق (ص ٢١٧)، أصول الدين (ص ٣٣٤).

(٤) التبصير في الدين (ص ١٠١).

(٥) الغنية لطالبي طريق الحق (١ / ٢٢١).

(٦) درء تعارض العقل والنقل (٤ / ١٧٧ – ١٧٨)، وانظر: بيان تلبيس الجهمية (١ /٤١٨)، منهاج السنة (٨ / ٩).

الــرأي الثانـــي: أنهم فرقة غير مستقلة، وهؤلاء اختلفوا فيمن تتبع من الفرق على ثلاثة أقوال:

القــول الأول: أنهــم فــرقة من فرق المعتزلة، وممن قال بهذا الرأي الآمــدي فـــي غاية المرام [١]، والشهرستاني في الملل والنحل، وابن حزم في الفــصل، والإيجــي فــي المواقف[٢]، يقول الشهرستاني:"وظهرت جماعة من المعتزلة متوسطين مثل ضرار بن عمرو، وحفص الفرد، والحسين النجار" [٣].

ويقــول ابــن حـــزم: " وأقرب فرق المعتزلة إلى أهل السنة أصحاب الحسين بن محمد النجار " [٤].

القــول الثاني: أنهم فرقة من فرق الجبرية، وممن قال بهذا الرأي ابن الــنديم فـــي كـــتابه الفهرست [٥]، والرازي في كتابه اعتقادات فرق المسلمين والمــشركين [٦]، والشهرستاني في كتابه الملل والنحل في قول آخر له، يقول الشهرستاني:

" والمــصنفون فـــي المقالات عدوا النجارية والضرارية من الجبرية، وكـــذلك جماعـــة الكلابية من الصفاتية، والأشعرية سموهم تارة حشوية وتارة جبرية، ونحن سمعنا إقرارهم على أصحابهم من النجارية والضرارية فعددناهم من الجبرية، ولم نسمع إقرارهم على غيرهم فعددناهم من الصفاتية " [٧].

القــول الثالث: أنهم فرقة من فرق المرجئة، وممن قال بهذا القول أبو محمـــد اليمنـــي فـــي كتابه عقائد الثلاث والسبعين فرقة حيث قال: " المرجئة

---

(١) انظر: غاية المرام (١/ ٥٢، ٥٦)، درء تعارض العقل والنقل (٤ / ١٧٦ - ١٧٧).

(٢) المواقف (١ / ٤٠٥، ٢ / ١٢٦).

(٣) الملل والنحل، (١ / ٤٤).

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢ / ٨٩).

(٥) انظر: كتاب الفهرست (ص ٢٢٣).

(٦) انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص ٩٠)

(٧) الملل والنحل (١ / ٩٧).

افتـــرقت، علــــى ثمـــان عـــشرة فرقة: الجهمية والكراميه والمريسية والكلابية والغيلانية والنجارية ..... "[1].

وتابعـــه على ذلك السكسكي، في كتابه (البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان)[2]، واليافعي في كتابه (ذكر مذاهب الفرق الثنتين وسبعين المخالفة للسنة والمبتدعة)[3].

والـــراجح أنهـــم فرقة مستقلة، وليسوا من المعتزلة ولا غيرهم، ولكنهم وافقوا المعتزلة و الجبرية و المرجئة في بعض أصولهم.

---

(١) عقائد الثلاث والسبعين فرقة (١ / ٢٧١).

(٢) البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان (ص ٣٣، ٣٤، ٣٩)

(٣) ذكر مذاهب الفرق الثنتين وسبعين المخالفة للسنة والمبتدعة (ص ١٣٣، ١٤١).

الفصل الأول: في التعريف بفرقة النجارية، وتأريخهم، وفرقهم.

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالفرقة.

النجارية: هم أتباع أبي عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الله النجار، مؤسس الفرقة، وأبرز رجالها.

وقد اتفق على هذه النسبة أكثر من كتب عن النجارية [1].

يقول الشيخ عبد القادر الجيلاني في كتاب الغنية:

" وأما النجارية فمنسوبة إلى الحسين بن محمد بن عبد الله النجار" [2].

ولكن الجرجاني، وأبو محمد اليمني ذكرا أن النجارية هم أتباع محمد بن الحسين النجار، قال الجرجاني: " النجارية: أصحاب محمد بن الحسين النجار" [3].

وقال أبو محمد: " فرقة النجارية: أصحاب محمد بن الحسين بن محمد النجار، أحد شيوخهم وعظمائهم " [4].

ولعل هذا تصحيف، والمشهور هو الأول.

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (١ / ٣٤٠)، كتاب الفهرست (ص ٢٢٣)، الفرق بين الفرق (ص ٢١٧)، أصول الدين (ص ٣٣٤)، التبصير في الدين (ص ١٠١)، الملل والنحل (١ / ١٠٠) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص ٩٠)، عقائد الثلاث والسبعين فرقة (١ / ٢٨١)، الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢ / ٨٩)، البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان (ص ٣٩)، الاعتصام للشاطبي (٢ / ٧٢٠)، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢ / ٢٩٨، ٥ / ٢٩٤، ٧ / ٥٤٦، ١٣ / ٩٩، ١٤ / ٣٥٢، ١٧ / ٢٩٩)، منهاج السنة النبوية (٢ / ٥١٩)، شرح قصيدة الإمام ابن القيم (٢ / ٢٧٧)، المواقف للإيجي (١/ ٧١٠)، طبقات الفقهاء للشيرازي (١ / ١٤٥) البدء والتاريخ (٥ / ١٤٧)، ذكر مذاهب الفرق الثنتين وسبعين المخالفة للسنة والمبتدعة (ص ١٤١)، سير أعلام النبلاء (١٠ / ٥٥٤).

(٢) الغنية لطالبي طريق الحق (١ / ٢٣٣).

(٣) التعريفات (ص ٢٥٩).

(٤) عقائد الثلاث والسبعين فرقة (١ / ٢٨١).

والحسين بن محمد بن عبد الله النجار، أحد كبار المتكلمين.

ذكـــر ابن النديم أنه كان حائكا في طراز العباس بن محمد الهاشمي، ر قـــيل: إنـــه كان يعمل الموازين من أهل بم، وكان إذا تكلم كأن كلامه صوت الخفاش [1].

وكـــان ابـــن النجار من أهل الجهل بالقرآن، يقول الإمام ابن القيم في القصيدة النونية:

وكذلك الشحام والعلاف والنجـــار أهل الجهـــل بالقـــــرآن

والله ما في القـــوم شخص رافع بالوحي رأسا بل برأي فلان"[2].

أخذ الحسين النجار مذهبه في الكلام عن بشر بن غياث المريسي.

يقول الشيرازي في ترجمته لبشر بن غياث المريسي: " بشر بن غياث المريـــسي: أخـــذ العلم عن أبي يوسف خاصة، وغلب عليه الكلام، وعنه أخذ الحسين النجار الذي تنسب إليه النجارية بالري " [3].

وقال صاحب الجواهر المضيه فى طبقات الحنيفية في ترجمته لبشر بن غـــياث المريـــسي: " رغـــب الناس عنه فى ذلك الزمان لاشتهاره بعلم الكلام وخوضه فى ذلك، وعنه أخذ حسين النجار مذهبه " [4].

وقد عده الذهبي من رؤوس المعتزلة البغداديين [5].

وللنجار مناظرات مع النظام فأغضب النظام مرة في إحدى المناظرات فرفسه فيقال: إنه مات منها بعد تعلل [6].

---

(١) انظر: كتاب الفهرست (ص ٢٢٣).

(٢) شرح قصيدة الإمام ابن القيم (٢ / ٢٧٥).

(٣) طبقات الفقهاء للشيرازي (ص ١٤٥).

(٤) الجواهر المضيه فى طبقات الحنيفية (ص ١٦٤).

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء (١٠ / ٥٥١).

(٦) انظر: سير أعلام النبلاء (١٠ / ٥٥٤).

كما حكى ذلك ابن النديم في كتابه الفهرست بقوله:

" وله مع النظام مجالس ومناظرات، والسبب في موت الحسين النجار: أنه اجتمع مع إبراهيم النظام عند بعض إخوانه، فسلم الحسين، فقال له إبراهيم: تجلس حتى أكلمك، فجلس، فقال له إبراهيم: يجوز أن تفعل خلق الله، فقال الحسين: يجوز أن أفعل الذي هو خلق الله، قال إبراهيم: فالذي هو خلق الله، خلق لله، أو ليس بخلق له؟ قال الحسين: هو خلق الله، قال إبراهيم: فقد فعلت خلق الله، فلم لا يجوز أن تخلق خلق الله، كما جاز أن تفعل خلق الله، قال حسين:لم أفعل خلق الله، وإنما فعلت الذي هو خلق الله، قال إبراهيم: والذي هو خلق الله، خلق لله، أو ليس بخلق له؟ قال الحسين: فهو خلق الله.

فرفسه إبراهيم، وقال: قم أخزى الله من ينسبك إلى شيء من العلم والفهم، وانصرف محموما، وكان ذلك سبب علته التي مات فيها " [(١)].

وقد رد على ابن النجار أبو جعفر محمد بن عبد الله السمرقندي الإسكافي المتكلم (ت: ٢٤٠هـ في كتاب سماه (نقض كتاب حسين النجار) [(٢)].

المبحث الثاني: ألقابهم.

يلقبون بعدة ألقاب منها:

١ - النجارية.

يقال لهم: النجارية نسبة لمؤسس مذهبهم الحسين بن محمد النجار[(٣)].

---

(١) كتاب الفهرست (ص ٢٢٣).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (١٠ / ٥٥٦).

(٣) انظر: مقالات الإسلاميين (١ /٣٤٠)، كتاب الفهرست (ص ٢٢٣)، الفرق بين الفرق (ص ٢١٧)، أصول الدين (ص ٣٣٤)، التبصير في الدين (ص ١٠١)، الملل والنحل (١ / ١٠٠)، الغنية لطالبي طريق الحق (١ / ٢٣٣)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص ٩٠)، عقائد الثلاث والسبعين فرقة (١ / ٢٨١) ، البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان (ص ٣٩)، الاعتصام للشاطبي(٢ /٧٢٠)، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢ / ٢٩٨، ٥ / ٢٩٤، ٧ / ٥٤٦، ١٣ / ٩٩، ١٤ / ٣٥٢، ١٧ / ٢٩٩)، المواقف للايجي (١ / ٧١٠)، طبقات الفقهاء للشيرازي (١ / ١٤٥) البدء والتاريخ (٥ / ١٤٧)، ذكر مذاهب الفرق الثنتين وسبعين المخالفة للسنة والمبتدعة (ص ١٤١).

٢ – الحسينية.

يقـال لهـم: الحسينية نسبة لمؤسس مذهبهم محمد بن الحسين النجار، يقول الأشعري:

" زعـم محمـد بن الحسين النجار وأصحابه وهم الحسينية: أن أعمال العباد مخلوقة لله، وهم فاعلون لها " (١).

المبحث الثالث: تأريخهم، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: زمنهم.

ظهرت النجارية في أول القرن الثالث الهجري، يقول الشهرستاني:

" وظهـرت جماعـة مـن المعتزلة متوسطين مثل ضرار بن عمرو، وحفـص الفـرد، والحسين النجار، ومن المتأخرين خالفوا الشيوخ في مسائل، ونـبغ مـنهم جهم بن صفوان في أيام نصر بن سيار وأظهر بدعته في الجبر بترمذ وقتله سالم بن أحوز المازني في آخر ملك بني أمية بمرو " (٢).

المطلب الثاني: موطنهم.

النجارية فرقة معروفة بالري (٣).

فقد ذكر عبد القاهر البغدادي أنهم يوجدون في زمنه بالري فقال: " وهم اليوم زهاء عشر فرق بالري كل فرقة منها تكفر سائرها " (٤).

وتابعـه علـى ذلك الشهرستاني فقال " وأكثر معتزلة الري وما حولها على مذهبه " (٥).

---

(١) مقـالات الإسـلاميين (١ / ٣٤٠)، و انظـر: المصدر نفسه (١ / ٦٥)، الملل والنحل (١ / ١٠٠)، التعريفات للجرجاني (ص ٢٥٩)، بيان تلبيس الجهمية (١ / ٤١٨).

(٢) الملل والنحل (١ / ٤٤)

(٣) انظر: طبقات الفقهاء للشيرازي (١ / ١٤٥).

(٤) أصول الدين (ص ٣٣٤).

(٥) الملل والنحل (١ / ١٠٠)

وذكر عبد القاهر البغدادي، و الاسفراييني: أن الزعفراني أحد رجال فرقة النجارية، والذي تنسب إليه فرقة الزعفرانية كان هو وأتباعه يقيمون بالري [1].

وذكر السكسكي أن مذهب ابن النجار في خراسان [2].

ويقول الشيخ عبد القادر الجيلاني في كتاب الغنية: " وأكثر ما يكون مذهبهم بالمشرق، ونواحي خراسان " [3].

ولا منافاة بين هذا والذي قبله؛ لأن الري كما هو معروف يقع في أقليم خراسان.

المبحث الرابع: كتبهم.

للنجارية كتب كثيرة [4].

وأشهر مؤلفي كتبهم الحسين بن محمد النجار، الذي تنسب إليه الفرقة [5].

وقد ذكر ابن النديم في كتاب الفهرست أن للنجار عددا من الكتب منها:

١ - كتاب الاستطاعة.

٢ - كتاب كان يكون.

٣ - كتاب المخلوق.

٤ - كتاب الصفات والأسماء.

٥ - كتاب إثبات الرسل.

٦ - كتاب التعديل والتجويز.

---

(١) انظر: الفرق بين الفرق (ص ٢١٩)، التبصير في الدين (ص ١٠٢).

(٢) انظر: البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان (ص ٣٩).

(٣) الغنية لطالبي طريق الحق (١ / ٢٣٤).

(٤) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٢ / ١٥٩).

(٥) انظر: الغنية لطالبي طريق الحق (١ / ٢٣٤).

٧ - كتاب الإرادة صفة في الذات.

٨ - كتاب الإرجاء.

٩ - كتاب العبادات.

١٠ - كتاب الإرادة الموجبة .

١١ - كتاب القضاء والقدر.

١٢ - كتاب التأويلات.

١٣ - كتاب المستطيع على إبراهيم.أي: كتاب المستطيع على الرد على إبراهيم النظام.

١٤ - كتاب الموجز.

١٥ - كتاب العلل في الاستطاعة.

١٦ - كتاب المطالبات.

١٧ - كتاب النكت.

١٨ - كتاب البدل.

١٩ - كتاب الرد على الملحدين.

٢٠ - كتاب الترك.

٢١ - كتاب اللطف والتأييد.

٢٢ - كتاب الثواب والعقاب.

٢٣ - كتاب الأبواب.

٢٤ - كتاب المعرفة في الإجماع [١].

المبحث الخامس: فرقهم.

يرى بعض المصنفين أن النجارية فرقة واحدة، ويرى آخرون أنهم فرق، فممن يرى أنهم فرقة واحدة الشيخ عبد القادر الجيلاني في كتاب الغنية فقال: " و النجارية، و الضرارية، و الكلابية كل واحدة فرقة واحدة " [١].

---

(١) انظر: كتاب الفهرست (ص ٢٢٣).

وأكثر المصنفين على أنهم أكثر من فرقة؛ وممن يرى ذلك عبد القاهر البغدادي فقد ذكر أن النجارية في وقته تقارب عشر فرق فقال: " وهم اليوم زهاء عشر فرق بالري كل فرقة منها تكفر سائرها " [٢].

والمشهور منها ثلاث فرق هي:

البرغوثية، والزعفرانية، والمستدركة [٣].

الفرقة الأولى: البرغوثية.

هم أتباع أبي عيسى محمد بن عيسى الملقب ببرغوث، الجهمي، تتلمذ على الحسين بن محمد النجار، حتى صار من أكابر أصحابه، وكان على مذهب النجار في أكثر أقواله، وخالفه في بعض آرائه [٤].

كان رأسا في البدعة، و هو أحد من كان يناظر الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله – وقت المحنة [٥].

وكان يقول بخلق القرآن، وقد أنابه أحمد بن أبي دؤاد لكي يناظر الإمام أحمد، قال شيخ الإسلام ابن تيمية وهو يتحدث عن محنة الإمام أحمد بن حنبل:

" وكان أحمد بن أبي دؤاد قد جمع له نفاة الصفات القائلين بخلق القرآن من جميع الطوائف، فجمع له مثل أبى عيسى محمد بن عيسى برغوث، و من أكابر النجارية أصحاب حسين النجار " [٦].

---

(١) الغنية لطالبي طريق الحق (١ / ٢٢١).

(٢) أصول الدين (ص ٣٣٤).

(٣) انظر: الفرق بين الفرق (ص ٢١٨)، أصول الدين (ص ٣٣٤)، التبصير في الدين (ص ١٠٢)، الملل والنحل (١ / ١٠٠)، الاعتصام للشاطبي (٢ / ٧٢٠).

(٤) انظر: الفرق بين الفرق (ص ٢١٨)، التبصير في الدين (ص ١٠٢)، الملل والنحل (١/١٠٠).

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء (١٠ / ٥٥٤)، درء تعارض العقل والنقل (٧ / ٢٥٧، ٢٧٥ – ٢٧٦).

(٦) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٤ / ٣٥٢)، انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٥ / ٢٩٤ – ٢٩٥، ١٧ / ٢٩٩، ١٨ / ١٩٧)، منهاج السنة النبوية (٢ / ٦٠٤).

وكان يقول هو وأصحابه: " كلام الله إذا قرئ عرض، وإذا كتب بأي شيء كان فهو جسم " (١).

صنف كتبا منها:

كتاب الاستطاعة، وكتاب المقالات، وكتاب الاجتهاد، وكتاب الرد على جعفر بن حرب، وكتاب المضاهاة.

توفي سنة أربعين ومئتين، وقيل سنة إحدى وأربعين (٢).

يقال: لما بلغ برغوث موت الإسكافي خصم النجار سجد، فمات بعده بأشهر (٣).

الفرقة الثانية الزعفرانية:

الزعفرانية هم: أتباع شخص يقال له الزعفراني، وكان يعيش في بلاد الري، وكان يعبر عن مذهبه بعبارات متناقضة؛ فكان مما يقول: إن كلام الله تعالى غيره، وكل ما هو غيره فهو مخلوق، ومن قال كلام الله غير مخلوق فهو كافر، ثم يقول مع ذلك: الكلب خير ممن يقول كلام الله مخلوق (٤).

يقول الاسفراييني معلقا على هذا الكلام: " ومن كان كلامه على هذا النمط كان الكلام في عقله لا في دينه " (٥).

ومما يدل على فساد عقله وحماقته ما حكاه عبد القاهر البغدادي عن بعض أصحاب التواريخ:

---

(١) المواقف (٣ / ٧١٠، ٧١١).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (١٠ / ٥٥٤).

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء (١٠ / ٥٥١).

(٤) انظر: الفرق بين الفرق (ص ٢١٩)، أصول الدين (ص ٣٣٤)، التبصير في الدين (ص ١٠٢)، المواقف (٣ / ٧١٠، ٧١١).

(٥) التبصير في الدين (ص ١٠١).

" أن هذا الزعفراني أراد أن يشهر نفسه في الآفاق، فأكترى رجلا على أن يخـــرج إلـــى مكـــة ويسبه ويلعنه في مواسم مكة ليشتهر ذكره عند حجيج الآفاق " [1].

قال عبد القاهر البغدادي: " وقد بلغ حمق أتباعه بالري أن قوما منهم لا يأكلون العنجد [2] حرمة للزعفراني، ويزعمون أنه كان يحب ذلك وقالوا: لا نأكل محبوبه " [3].

الفرقة الثالثة المستدركة:

المستدركة هم قوم من الزعفرانية سموا بهذا الاسم؛ لأنهم زعموا أنهم استدركوا على أسلافهم ما خفي عليهم [4].

يقـــول عبد القاهر البغدادي عن المستدركة: " هؤلاء قوم من النجارية يزعمون أنهم استدركوا ما خفي على أسلافهم؛ لأن أسلافهم منعوا إطلاق القول بـــأن القـــرآن مخلـــوق، وزعمت المستدركة أنه مخلوق ثم افترقوا فيما بينهم فرقتين:

فـــرقة زعمت: أن النبي عليه السلام قد قال: إن كلام الله مخلوق على ترتيب هذه الحروف، ولكنه اعتقد ذلك بهذه اللفظة على ترتيبه حروفها، ومن لم يقل إن النبي عليه السلام قال ذلك على ترتيب هذه الحروف فهو كافر.

وقالت الفرقة الثانية منهم: إن النبي عليه السلام لم يقل كلام الله مخلوق علـــى ترتيب هذه الحروف، ولكنه اعتقد ذلك ودل عليه، ومن زعم أنه قال إن كلام الله مخلوق بهذه اللفظة فهو كافر.

---

(١) الفرق بين الفرق (ص ٢١٩).

(٢) الفرق بين الفرق (ص ٢١٩).

(٣) الفرق بين الفرق (ص ٢١٩).

(٤) انظـــر: الفـــرق بـــين الفرق (ص ٢١٨)، التبصير في الدين (ص ١٠٢)، الملل والنحل (١ / ١٠١)، المواقف (٣ / ٧١١).

ومن هؤلاء المستدركة: قوم بالري يزعمون أن أقوال مخالفيهم كلها كذب، حتى لو قال الواحد منهم في الشمس إنها شمس لكان كاذبا فيه .

قال عبد القاهر: ناظرت بعض هذه الطائفة بالري، فقلت له: أخبرني عن قولي لك: أنت إنسان عاقل مولود من نكاح لا من سفاح، هل أكون صادقا فيه؟ فقال: أنت كاذب في هذا القول، فقلت له: أنت صادق في هذا الجواب، فسكت خجلا، والحمد لله على ذلك " [1].

ويلخص الإيجي استدراك المستدركة على الزعفرانية فيقول: " وقالوا: إنه أي كلام الله: مخلوق مطلقا لكنا وافقنا السنة الواردة بأن كلام الله غير مخلوق، والإجماع المنعقد عليه في نفيه، وأولناه بما هذه الصورة حكايته أي حملنا قولهم غير مخلوق على أنه غير مخلوق على هذا الترتيب والنظم من هذه الحروف والأصوات، بل هو مخلوق على غير هذه الحروف، وهذه حكاية عنها، وقالوا: أقوال مخالفينا كلها كذب حتى قولهم لا إله إلا الله فإنه كذب أيضا " [2].

الحفصية:

وقد زاد الرازي في كتابه (اعتقادات فرق المسلمين والمشركين)[3] فرقة رابعة هي الحفصية، ولعله يريد حفص الفرد الذي كان يناظر الشافعي وأتباعه لأنهم وافقوا ابن النجار على بعض أقواله، وهؤلاء في الحقيقة فرقة من فرق الضرارية، لا من فرق النجارية، ويقال: إنه كان من تلاميذ حسين النجار [4].

---

(١) الفرق بين الفرق (ص ٢١٩ – ٢٢٠)، و انظر: أصول الدين (ص ٣٣٤)، التبصير في الدين (ص ١٠٢ – ١٠٣)، الملل والنحل (١ / ١٠١).

(٢) المواقف (٣ / ٧١١).

(٣) انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص ٩١).

(٤) انظر: شرح قصيدة الإمام ابن القيم (٢ / ٢٧٦).

المبحث السادس: مصادر التلقي عندهم.

ذكـــر عبد القاهر البغدادي أن النجارية لا يقبلون شيئا من السنة؛ لأنهم يكفـــرون أهـــل الحـــديث ونقلته، فيقول: " كيف يكون الرافضة، والخوارج، والقدرية، والجهمية، والنجارية، والبكرية، والضرارية موافقين للصحابة؟ وهم بأجمعهم لا يقبلون شيئا مما روى عن الصحابة في أحكام الشريعة؛ لامتناعهم مـــن قـــبول روايات الحديث، والسير، والمغازى، من أجل تكفيرهم لأصحاب الحـــديث الـــذين هم نقلة الأخبار والآثار، ورواة التواريخ والسير، ومن أجل تكفيرهم فقهاء الأمة الذين ضبطوا آثار الصحابة، وقاسوا فروعهم على فتاوى الصحابة " (١).

المبحث السابع: مذاهب تشبه مذهب النجارية.

١- الضرارية:

الـــضرارية توافـــق الـــنجارية في كثير من أصولها كالجمع بين نفي الـــصفات والـــرؤية وبـــين إثـــبات القدر، يقول الإيجي في كتاب المواقف: " النجارية: أصحاب محمد بن الحسين النجار، هم موافقون لأهل السنة في خلق الأفعال، وإن الاستطاعة مع الفعل، وأن العبد يكتسب فعله، وموافقون للمعتزلة فـــي نفـــي الصفات الوجودية، وعلى وحدوث الكلام، ونفي الرؤية بالأبصار، ووافقهم على ذلك ضرار بن عمرو وحفص الفرد " (٢).

٢ – مذهب محمد ابن التومرت:

وضـــع محمـــد ابن التومرت عقيدة المرشدة وهي تشبه قول النجارية، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان ذلك: " ومن هنا أخذ محمد ابن التومرت هذا اللقب وسمى طائفته الموحدين، ووضع لهم المرشدة المتضمنة لمثل عقيدة المعتزلة وغيرهم من الجهمية في التوحيد، لم يذكر اعتقاد الصفاتية كابن كلاب

---

(١) الفرق بين الفرق (ص ٣٤٦).

(٢) المواقف (٣ / ٧١١).

والأشعري فضلا عن اعتقاد السلف والأئمة، لكن ذكر في القدر مذهب أهل الإثبات، وهذا الذي ذكر يشبه قول حسين النجار وضرار بن عمرو، وكان حفص الفرد من أصحاب النجار، وكان برغوث من أصحاب ضرار، وذاك خصم الشافعي، وهذا من خصوم أحمد " (١).

وقال بعد أن ذكر أبا المعالي الجويني: " وسلك سبيله ابن التومرت في لفظة الموحدين، لكن لم يذكر في مرشدته الصفات الثبوتية كما يذهب إليه أبو المعالي ونحوه، لكن اقتصر على الصفات السلبية، وعلى الأحكام، وهذه طريقة المعتزلة، والنجارية، ونحوهم " (٢).

٣ - مذهب محمد بن الأصفهاني وأصحابه.

طريقة ابن الأصفهاني وأصحابه أنهم ينفون الصفات، ويثبتون القدر، وهذه الطريقة تشبه من بعض الوجوه طريقة النجارية، وقد أشار إلى هذا شيخ الإسلام ابن تيمية في شرح الأصفهانية فقال: " ولهذا كان أصحاب هذا المصنف مع انتسابهم إلى الأشعري إنما هم في باب الصفات مقرون بما تقر به المعتزلة ولا يقرون بما تقر به الأشعرية من الزيادات وبحوث أبي عبد الله بن الخطيب (٣) تعطيهم ذلك؛ فإن الوقف والحيرة ظاهر على كلامه في إثبات الصفات ومسألة الرؤيا والكلام وأمثالها؛ بخلاف مسائل القدر فإنه جازم فيها بمخالفة المعتزلة، وهذه الطريقة تشبه من بعض الوجوه طريقة ضرار بن

---

(١) بيان تلبيس الجهمية (١ /٤٦٥).

(٢) بيان تلبيس الجهمية (١ /٤٧٠).

(٣) المراد به: محمد بن عمر بن الحسين، البكري، الرازي، الملقب فخر الدين، أبو عبد الله الأصولي، المفسر، أحد رؤوس الأشاعرة، اشتغل على أبيه ضياء الدين خطيب الري، يقول الذهبي: " وقد بدت منه في تواليفه بلايا وعظائم وسحر وانحرافات عن السنة والله يعفو عنه فإنه توفي على طريقة حميدة والله يتولى السرائر " مات ٦٠٦ هـ.

انظر في ترجمته: وفيات الأعيان (٤ / ٢٤٨)، سير أعلام النبلاء (٢١ / ٥٠٠)، النجوم الزاهرة (٦ / ١٩٧)، لسان الميزان (٤ / ٤٢٦).

عمـــرو وحـــسين النجار وأمثالهما ممن كان يقر بالقدر ولكنه في الصفات بين المعتزلة والأشعرية، أو تشبه طريقة الواقفية الذين كانوا يقفون في القرآن فلا يقولون هو مخلوق ولا غير مخلوق.

وكـــلام أئمة السنة في ذم هؤلاء وكلام متكلمة الصفاتية كالأشعري وغيره في ذلك مشهور معروف " [1].

(١) انظر: العقيدة الأصفهانية (ص ٨٥ - ٨٦).

الفصل الثاني: موقف النجارية من التوحيد

وفيه ستة مباحث

المبحث الأول: قولهم في تعريف التوحيد وأنواعه.

التوحيد عند النجارية هو قولهم: بأن الله واحد لا شبيه له ولا مثل [1]، ويـريدون بـذلك نفـي الصفات، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان معنى التوحيد وأنواعه عندهم:

" وذهـب حسين النجار وطائفة من المعتزلة إلى أن معنى الواحد: هو الـذي لا شـبيه لـه كما يقول: فلان واحد دهره، وقد يقولون: التوحيد يجمع المعنيين جميعا.

فـالأول: نفي التجسيم، وهذا نفي التشبيه، فإن نفي الصفات عندهم: هو نفي التجسيم، وهذا نفي التشبيه، والتوحيد ينافي التشبيه والتجسيم.

وجماع قولهم: أن التوحيد ثلاث معان:

أنـه واحد في نفسه لا صفة له ولا قدر فليس بمركب ولا محدود ولا موصوف بصفة تقوم به.

وهو أيضا: واحد لا شبيه له، فهذان نفي التجسيم والتشبيه.

والـثالث: أنه واحد في أفعاله لا شريك له، فهذا الثالث هو متفق عليه بين المسلمين" [2].

فتبين: أن مسمى التوحيد عند النجارية هو نفي الصفات.

المناقشة:

هـذا التقـسيم الذي ذكره النجارية يخالف ما دل عليه الكتاب والسنة، ومخالـف لما قرره أهل السنة، والصواب أن التوحيد على الإجمال ينقسم إلى نوعين:

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (٢ / ٢١٠).

(٢) بيان تلبيس الجهمية (١ / ٤٦٥).

الأول: توحيد المعرفة والإثبات.

والثاني: توحيد القصد والطلب.

وعند التفصيل ينقسم إلى ثلاثة أنواع:

الأول: توحيد الألوهية.

الثاني: توحيد الأسماء والصفات.

الثالث: توحيد الربوبية، وهو التوحيد الذي ذكرته النجارية.

قال ابن القيم في بيان التوحيد الذي دل عليه الكتاب والسنة:

" وملاك السعادة والنجاة والفوز بتحقيق التوحيدين اللذين عليهما مدار كتاب الله تعالى وبتحقيقهما بعث الله سبحانه وتعالى رسوله واليهما دعت الرسل صلوات الله وسلامه عليهم من أولهم إلى آخرهم:

أحدهما: التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي المتضمن إثبات صفات الكمال لله تعالى وتنزيهه فيها عن التشبيه والتمثيل وتنزيهه عن صفات النقص.

والتوحيد الثاني: عبادته وحده لا شريك له وتجريد محبته والاخلاص له وخوفه ورجاؤه والتوكل عليه، والرضى به ربا وإلاها ووليا، وأن لا يجعل له عدلا في شيء من الأشياء.

وقد جمع سبحانه وتعالى هذين النوعين من التوحيد في سورتي الاخلاص، وهما سورة قل يا أيها الكافرون المتضمن للتوحيد العملي الاداري، وسورة قل هو الله أحد المتضمنة للتوحيد العلمي الخبري، فسورة قل هو الله أحد فيها بيان ما يجب لله تعالى من صفات الكمال وبيان ما يجب تنزيهه من النقائص والأمثال، وسورة قل يا أيها الكافرون فيها إيجاب عبادته وحده لا شريك له والتبريء من عبادة كل ما سواه.

ولا يــتم أحــد التوحــيدين إلا بالآخــر، ولهذا كان النبي يقرأ بهاتين السورتين في سنة الفجر والمغرب والوتر [1]، اللتين هما فاتحة العمل وخاتمته ليكون مبدأ النهار توحيدا وخاتمته توحيدا.

فالتوحــيد العلمي الخبري له ضدان: التعطيل، والتشبيه والتمثيل، فمن نفــى صفات الرب عز وجل وعطلها كذب تعطيله توحيده؛ ومن شبهه بخلقه ومثله بهم كذب تشبيهه وتمثيله توحيده.

والتوحيد الاداري العملي له ضدان: الاعراض عن محبته والانابة اليه والتوكل عليه، والاشراك به في ذلك، واتخاذ أوليائه شفعاء من دونه " [2].

فهؤلاء النجارية أدخلوا في التوحيد ما ليس منه " وأخرجوا من التوحيد مــا هو منة كتوحيد الإلهية وإثبات حقائق أسماء الله وصفاته ولم يعرف كثير مــنهم من التوحيد إلا توحيد الربوبية وهو أن الله رب كل شيء وخالقه، وهذا التوحــيد كــان يقر به المشركون الذين قال الله عنهم: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [3]. وقــال تعالى عنهم: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [4]. قالــت طائفــة من الــسلف: يقــول لهم من خلق السموات والأرض؟ فيقولون: الله، وهم مع هذا يعــبدون غيــره، وإنمــا التوحــيد الذي أمر الله به العباد هو توحيد الألوهية

---

(١) أخــرجه: مسلم في صحيحه، في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم (٧٢٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) اجــتماع الجــيوش الإســلامية (ص ٤٣ – ٤٤، وط دار البيان ص ٤٨ – ٥٠)، وانظر: الصواعق المرسلة (٢ / ٤٠٢ – ٤٠٣، ٣ / ٩٢٩، ٩٣٣).

(٣) سورة لقمان: ٢٥.

(٤) سورة يوسف: ١٠٦.

المتــضمن لتوحيد الربوبية، بأن يعتقد إثبات الله وصفاته ويعبده ولا يشرك به شيئا، والعبادة تجمع غاية الحب وغاية الذل له سبحانه " [١].

وهــذا التقسيم الذي ذكره النجارية هو تقسيم المعطلة، قال ابن القيم في الفرق بين توحيد المرسلين وتوحيد المعطلين:

" الفرق بين توحيد المرسلين وتوحيد المعطلين:

أن توحيد الرسل: إثبات صفات الكمال لله على وجه التفصيل، وعبادته وحده لا شريك له، فلا يجعل له ندا في قصد ولا حب ولا خوف ولا رجاء ولا لفــظ ولا حلــف ولا نــذر، بل يرفع العبد الانداد له من قلبه وقصده ولسانه وعــبادته، كمــا أنها معدومة في نفس الأمر لا وجود لها البتة، فلا يجعل لها وجودا في قلبه ولسانه.

وأمــا توحــيد المعطلين: فنفى حقائق أسمائه وصفاته وتعطليها، ومن أمكــنة منهم تعطليها من لسانه عطلها، فلا يذكرها ولا يذكر آية تتضمنها ولا حديــثا يصرح بشيء منها، ومن لم يمكنه تعطيل ذكرها سطا عليها بالتحريف ونفــي حقيقــتها وجعلهــا اسما فارغا لا معنى له، أو معناه من جنس الألغاز والأحاجــي، على أن من طرد تعطيله منهم على أنه يلزمه في ما حرف إليه النص من المعنى نظير ما فر منه سواء، فإن لزم تمثيل أو تشبيه أو حدوث في الحقــيقة لزم في المعنى الذي حمل عليه النص، وإن لا يلزم في هذا فهو أولى أن لا يلــزم فــي الحقيقة، فلما علم هذا لم يمكنه إلا تعطيل الجميع، فهذا طرد لأصل التعطيل والفرق أقرب منه، ولكنه مناقض يتحكم بالباطل حيث أثبت لله بعــض مــا أثبته لنفسه ونفى عنه البعض الآخر، واللازم الباطل فيهما واحد، واللازم الحق لا يفرق بينهما.

والمقصود: أنهم سموا هذا التعطيل توحيدا، وإنما هو إلحاد في أسماء الرب تعالى وصفاته وتعطيل لحقائقها " [١] .

---

(١) رفع الشبهة والغرور لمرعي بن يوسف الحنبلي المقدسي (ص ٦٧).

" وبهذا وغيره: يعرف ما وقع من الغلط في مسمى التوحيد فإن عامة المتكلمين الذين يقررون التوحيد في كتب الكلام والنظر: غايتهم أن يجعلوا التوحيد (ثلاثة أنواع). فيقولون: هو واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته لا شبيه له، وواحد في أفعاله لا شريك له.

وأشهر الأنواع الثلاثة عندهم هو الثالث، وهو توحيد الأفعال، وهو أن خالق العالم واحد، وهم يحتجون على ذلك بما يذكرونه من دلالة التمانع وغيرها، ويظنون أن هذا هو التوحيد المطلوب، وأن هذا هو معنى قولنا لا إله إلا الله، حتى قد يجعلوا معنى الإلهية القدرة على الاختراع.

ومعلوم أن المشركين من العرب الذين بعث إليهم محمد ﷺ أولا: لم يكونوا يخالفونه في هذا؛ بل كانوا يقرون بأن الله خالق كل شيء حتى إنهم كانوا يقرون بالقدر أيضا، وهم مع هذا مشركون...

فإن هذا التوحيد الذي قرروه لا ينازعهم فيه هؤلاء المشركون بل يقرون به مع أنهم مشركون كما ثبت بالكتاب والسنة والإجماع وكما علم بالاضطرار من دين الإسلام.

وكذلك النوع الثاني: - وهو قولهم: لا شبيه له في صفاته - فإنه ليس في الأمم من أثبت قديما مماثلا له في ذاته سواء قال إنه يشاركه. أو قال: إنه لا فعل له؛ بل من شبه به شيئا من مخلوقاته فإنما يشبهه به في بعض الأمور.

وقد علم بالعقل: امتناع أن يكون له مثل في المخلوقات يشاركه فيما يجب أو يجوز أو يمتنع عليه؛ فإن ذلك يستلزم الجمع بين النقيضين كما تقدم.

وعلم أيضا بالعقل: أن كل موجودين قائمين بأنفسهما فلا بد بينهما من قدر مشترك كاتفاقهما في مسمى الوجود والقيام بالنفس والذات ونحو ذلك، فإن نفي ذلك يقتضي التعطيل المحض، وإنه لا بد من إثبات خصائص الربوبية...

---

(١) الروح (ص ٢٦١ – ٢٦٣).

ثـم إن الجهمية من المعتزلة وغيرهم أدرجوا نفي الصفات في مسمى التوحـيد فـصار من قال: إن لله علما أو قدرة أو إنه يرى في الآخرة أو إن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق يقولون: إنه مشبه ليس بموحد، وزاد عليهم غـلاة الفلاسـفة والقرامطة فنفوا أسماءه الحسنى وقالوا: من قال إن الله عليم قديـر عزيز حكيم: فهو مشبه ليس بموحد، وزاد عليهم غلاة الغلاة وقالوا: لا يوصـف بالنفي ولا الإثبات؛ لأن في كل منهما تشبيها له وهؤلاء كلهم وقعوا مـن جـنس التـشبيه فـيما هـو شر مما فروا منه فإنهم شبهوه بالممتنعات والمعدومات والجمادات فرارا من تشبيههم - بزعمهم - له بالأحياء.

ومعلوم أن هذه الصفات الثابتة لله لا تثبت له على حد ما يثبت لمخلوق أصلا، وهو سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، فلا فرق بين إثبات الذات وإثبات الصفات؛ فإذا لم يكن في إثبات الذات إثـبات مماثلـة للذوات: لم يكن في إثبات الصفات إثبات مماثلة له في ذلك، فـصار هـؤلاء الجهمـية المعطلة يجعلون هذا توحيدا؛ ويجعلون مقابل ذلك التشبيه، ويسمون أنفسهم الموحدين.

وكـذلك الـنوع الثالث: وهو قولهم: هو واحد لا قسيم له في ذاته أو لا جـزء له أو لا بعض له؛ لفظ مجمل فإن الله سبحانه أحد صمد لم يلد ولم يولد ولـم يكن له كفوا أحد؛ فيمتنع عليه أن يتفرق أو يتجزأ أو يكون قد ركب من أجـزاء؛ لكـنهم يدرجون في هذا اللفظ نفي علوه على عرشه ومباينته لخلقه وامتـيازه عنهم ونحو ذلك من المعاني المستلزمة لنفيه وتعطيله ويجعلون ذلك من التوحيد.

فقـد تبين أن ما يسمونه توحيدا: فيه ما هو حق، وفيه ما هو باطل ولو كان جميعه حقا؛ فإن المشركين إذا أقروا بذلك كله لم يخرجوا من الشرك الذي وصفهم به في القرآن وقاتلهم عليه الرسول ﷺ؛ بل لا بد أن يعترفوا أنه لا إله إلا الله.

وليس المراد بالإله هو القادر على الاختراع كما ظنه من ظنه من أئمة المتكلمين حيث ظنوا أن الإلهية هي القدرة على الاختراع دون غيره، وأن من أقر بأن الله هو القادر على الاختراع دون غيره فقد شهد أن لا إله إلا هو.

فإن المشركين كانوا يقرون بهذا وهم مشركون كما تقدم بيانه، بل الإله الحق هو الذي يستحق بأن يعبد فهو إله بمعنى مألوه؛ لا إله بمعنى آله.

والتوحيد: أن يعبد الله وحده لا شريك له. والإشراك: أن يجعل مع الله إلها آخر.

وإذا تبين أن غاية ما يقرره هؤلاء النظار؛ أهل الإثبات للقدر المنتسبون إلى السنة، إنما هو توحيد الربوبية وأن الله رب كل شيء، ومع هذا فالمشركون كانوا مقرين بذلك مع أنهم مشركون.

وكذلك طوائف من أهل التصوف والمنتسبين إلى المعرفة والتحقيق والتوحيد: غاية ما عندهم من التوحيد هو شهود هذا التوحيد، وأن يشهد أن الله رب كل شيء ومليكه وخالقه، لا سيما إذا غاب العارف بموجوده عن وجوده، وبمشهوده عن شهوده، وبمعروفه عن معرفته، ودخل في فناء توحيد الربوبية بحيث يفنى من لم يكن ويبقى من لم يزل، فهذا عندهم هو الغاية التي لا غاية وراءها.

ومعلوم أن هذا هو تحقيق ما أقر به المشركون من التوحيد، ولا يصير الرجل بمجرد هذا التوحيد مسلما فضلا عن أن يكون وليا لله أو من سادات الأولياء.

وطائفة من أهل التصوف والمعرفة: يقررون هذا التوحيد مع إثبات الصفات فيفنون في توحيد الربوبية مع إثبات الخالق للعالم المباين لمخلوقاته.

وآخرون يضمون هذا إلى نفي الصفات فيدخلون في التعطيل مع هذا، وهذا شر من حال كثير من المشركين.

وكان جهم ينفي الصفات ويقول بالجبر فهذا تحقيق قول جهم، لكنه إذا أثبت الأمر والنهي والثواب والعقاب: فارق المشركين من هذا الوجه، لكن جهما ومن اتبعه يقول بالإرجاء، فيضعف الأمر والنهي والثواب والعقاب عنده.

والنجارية والضرارية وغيرهم: يقربون من جهم في مسائل القدر والإيمان، مع مقاربتهم له أيضا في نفي الصفات.

والكلابية والأشعرية: خير من هؤلاء في باب الصفات فإنهم يثبتون لله الصفات العقلية , وأئمتهم يثبتون الصفات الخبرية في الجملة...

وأما في باب القدر ومسائل الأسماء والأحكام فأقوالهم متقاربة " [١].

المبحث الثاني: قولهم في توحيد الربوبية، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: كيفية حصول المعرفة.

بين شيخ الإسلام ابن تيمية أن النجارية يجوزون حصول المعرفة بالرب سبحانه عن طريق الضرورة.

وهذا القول هو القول الصحيح، وهو قول طوائف أهل السنة من أهل الحديث والفقه وغيرهم [٢].

المطلب الثاني: دليل الحوادث الأعراض.

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن النجارية اعتمدوا على طريقة الأعراض وحدوث الأجسام، على إثبات وجود الله، و هذه الطريقة هي قولهم: " إن إثبات الصانع لا يمكن إلا بمعرفة حدوث العالم، وذلك لا يمكن إلا بمعرفة حدوث الأجسام؛ ومعرفة حدوث الأجسام هو بمعرفة استلزامها للحوادث؛ وأن ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث " [٣].

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣ / ٩٩ – ١٠٣).

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٧ / ٣٩٥).

(٣) شرح الأصبهانية، تحقيق: محمد السعوي (١ / ١٣٥).

" وأيضا فإنها لا تخلو عن الأعراض، والأعراض لا تبقى زمانين فهي حادثة، فإذا لم تخل الأجسام عنها لزم حدوثها " [١].

كمــا استدلوا بهذه الطريقة على إثبات حدوث العالم، يقول شيخ الإسلام ابــن تيمية: " لا ريب أن النظار المثبتين لحدوث أجسام العالم وأعراضه من المعتــزلة والكلابية والكرامية والهشامية والنجارية والضرارية والجهمية ومن وافقهم من الفقهاء والصوفية وأهل الحديث الذين بنوا ذلك على أن ما لا يخلو عــن الحــوادث فهــو حادث هم صنفان: صنف يقول: إن الجسم لا يخلو عن الحــوادث، ومــا لا يخلــو عن الحوادث فهو حادث، وهؤلاء يقولون بحدوث الأجسام وأعراضها مطلقا.

وصــنف يقولون: إن الجسم نوعان: نوع يخلو عن الحوادث، ونوع لا يخلــو عن الحوادث، فالذي لا يخلو عن الحوادث هو الحادث دون الأول؛ كما يقول ذلك من يقوله من الهشامية والكرامية وغيرهم " [٢].

وكــذلك أيــضا استدلوا بهذه الطريقة على نفي الصفات، والقول بخلق القرآن، كما يقول بذلك محمد بن عيسى الملقب ببرغوث [٣].

المناقشة:

هــذه الطريقة أوهذا الدليل محدث في الدين أحدثه أهل الكلام يزعمون أنهم يثبتون به وجود الله، وحدوث العالم.

وسأبين فساد هذه الطريقة أو هذا الدليل من الأوجه التالية:

---

(١) الــصواعق المرســلة (٣ / ١١٨٨)، وانظر: مقالات الإسلاميين (٢ / ١٦، ٤٨) الفرق بين الفرق (ص ١٧٦)، المواقف (١ / ٥٠٣، ٢ / ٣٢٣ – ٣٢٥).

(٢) الصفدية (٢ / ١١٦).

(٣) انظر: النبوات (١ / ٢٧٥ – ٢٧٦).

الوجه الأول: أن هذا الدليل دليل مبتدع في الدين.

أن هذا الأصل أصل مبتدع، لم يسلكه الرسول ﷺ ولا الصحابة رضي الله عنهم، وقد أطبق السلف والأئمة على ذمه، وبينوا أنه مخالف للشرع والعقل، وأنه بدعة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى –:

" هذا طريق محدث في الإسلام لم يكن أحد من الصحابة ولا القرابة ولا التابعين يسلك هذه الطريق وإنما سلكها الجهم بن صفوان وأبو الهذيل العلاف ومن وافقهما ولو كان العلم بإثبات الصانع وحدوث العالم لا يتم إلا بهذه الطريق لكان بيانها من الدين ولم يحصل الإيمان إلا بها.

ونحن نعلم بالاضطرار أن النبي ﷺ لم يذكر هذه الطريق لأمته، ولا دعاهم بها ولا إليها ولا أحد من الصحابة. فالقول بأن الإيمان موقوف عليها مما يعلم بطلانه بالضرورة من دين الإسلام.

وكل أحد يعلم أنها طريق محدثة لم يسلكها السلف والناس متنازعون في صحتها فكيف يقولون إن العلم بالصانع والعلم بحدوث العالم موقوف عليها " (١).

وقال أيضا: " طوائف أهل البدع من أهل الكلام وغيرهم ليس فيهم من يوافق الرسول في أصول دينه لا فيما اشتركوا فيه ولا فيما انفرد به بعضهم ...

ونفس ما اشتركوا فيه؛ من إثبات الصانع بطريقة الأعراض، وأنها لازمة للجسم أو متعاقبة عليه، فلا يخلو منها، وما لم يخل من الحوادث فهو حادث لامتناع حوادث لا أول لها، وأن الله يمتنع أن يقال أنه لم يزل متكلما بمشيئته بعد أن لم يكن بلا حدوث حادث، وما يتبع هذا هو أصل مبتدع في

---

(١) منهاج السنة النبوية (٢ / ٢٦٧ – ٢٦٨).

الإسلام؛ أول ما عرف أنه قاله الجهم بن صفوان مقدم الجهمية، وأبو الهذيل العلاف مقدم المعتزلة " [1].

الوجه الثاني: أن هذا الأصل مأخوذ من الجهمية والمعتزلة.

أن هذا الأصل مأخوذ من الجهمية والمعتزلة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية وهو يتحدث عن بدعة الجهمية: " ثم ظهر بهذا المذهب الجهم بن صفوان، ودخلت فيه بعد ذلك المعتزلة، وهؤلاء أول من عرف عنهم في الإسلام أنهم أثبتوا حدوث العالم بحدوث الأجسام، وأثبتوا حدوث الأجسام بحدوث ما يستلزمها من الأعراض، وقالوا: الأجسام لا تنفك عن أعراض محدثة، وما لا ينفك عن الحوادث أو ما لا يسبق الحوادث فهو حادث لامتناع حوادث لا أول لها " [2].

وقال أيضا: " وإنما أوقع هذه الطوائف في هذه الأقوال ذلك الأصل الذي تلقوه عن الجهمية وهو أن ما لم يخل من الحوادث فهو حادث وهو باطل عقلا وشرعا وهذا الأصل فاسد مخالف للعقل والشرع وبه استطالت عليهم الفلاسفة الدهرية فلا للإسلام نصروا ولا لعدوه كسروا. بل قد خالفوا السلف والأئمة وخالفوا العقل والشرع وسلطوا عليهم وعلى المسلمين عدوهم من الفلاسفة والدهرية والملاحدة بسبب غلطهم في هذا الأصل الذي جعلوه أصل دينهم ولو اعتصموا بما جاء به الرسول لوافقوا المنقول والمعقول وثبت لهم الأصل؛ ولكن ضيعوا الأصول فحرموا الوصول؛ والأصول اتباع ما جاء به الرسول " [3].

---

(١) النبوات تحقيق: عبد العزيز الطويان (١ / ٥٨٤ – ٥٨٦).

(٢) منهاج السنة (١ / ٣٠٩ – ٣١٠).

(٣) الفرقان بين الحق والباطل، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط (ص ١٠٢)، وضمن مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٣ / ١٥٧).

الــوجه الثالث: أن هذه الطريقة أنكرها أئمة الإسلام والسنة، وذموها، وقالوا: إنها باطلة في نفسها مخالفة لصريح المعقول وصحيح المنقول.

يقول شيخ الإسلام – رحمه الله تعالى – في بيان هذا المعنى:

" وقــد علم بالاضطرار من دين الإسلام أن الرسول لم يدع أحد بهذه الطــريق، فــضلا عــن أن يوجــبها على كل مكلف، ولا سلك هذه أحد من الصحابة.

بل لما أحدثها من أحدثها من أهل الكلام تتطابقت أئمة الإسلام على ذم هــذا الكــلام؛ كما هو مشهور عنهم متواتر؛ كما هو معروف عن مالك وأبي حنــيفة، وحماد بن زيد وحماد بن سلمة، وعبد الله بن المبارك، وأبي يوسف، والشافعي وأحمد وإسحاق بن راهوية، وغيرهم من أئمة الإسلام.

وجمهــور الناس أنكروا عليهم إيجاب سلوك هذه الطريق؛ ودعواهم أنه لا سبيل إلى معرفة الله تعالى إلا بها؛ لظهور فساد ذلك في شريعة الإسلام.

لكن من هؤلاء من سلم صحتها؛ ولكن رآها طويلة كثيرة الشبهات.

وأما أئمة الإسلام والسنة فرأوها طريقة فاسدة في العقل، كما هي بدعة فــي الــشرع؛ وأنها إلى نفي حدوث العالم، وعدم الدلالة على إثبات الصانع، أقرب منها إلى إثبات حدوث العالم وإثبات الصانع.

فإن مبناها على ترجيح أحد المتماثلين بلا مرجح، وحدوث الحادث بلا ســبب لحدوثــه ولا حكمــة لإحداثه، وأن ما قامت به الصفات والأفعال فهو محدث: كائن بعد أن لم يكن، وغير ذلك من لوازمها المنافية لصريح المعقول وصحيح المنقول " [١].

ويقــول شيخ الإسلام أيضا: " ولهذا أنكر كثير من العلماء على هؤلاء إيجــاب سلوك هذه الطريق، مع تسليمهم أنها صحيحة؛ كالخطابي، والقاضي

(١) شرح الأصبهانية، تحقيق: محمد السعوي (١ / ٥٣٥ – ٥٣٧).

أبي يعلى، وابن عقيل، وغيرهم. والأشعري نفسه أنكر على من أوجب سلوكها أيضا في رسالته إلى أهل الثغر، مع اعتقاده صحتها ...

وأما أكابر أهل العلم من السلف والخلف: فعلموا أنها طريقة باطلة في نفسها، مخالفة لصريح المعقول وصحيح المنقول، وأنه لا يحصل بها العلم بالصانع، ولا بغير ذلك " [1].

الوجه الرابع: أن سلوك هذه الطريقة يلزم عليه لوازم باطلة.

سلوك هذه الطريقة يوجب اعتقادات باطلة، ولوازم باطلة، توجب مخالفة كثير مما جاء به الرسول مع مخالفة صريح المعقول، منها نفي الصفات، أو نفي بعضها، بل نفي وجود الرب، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: " بل يوجب سلوكها اعتقادات باطلة توجب مخالفة كثير مما جاء به الرسول، مع مخالفة صريح المعقول؛ كما أصاب من سلكها من الجهمية، والمعتزلة، والكلابية، والكرامية، ومن تبعهم من الطوائف، وإن لم يعرفوا غورها وحقيقتها؛ فإن أئمة هؤلاء الطوائف صار كل منهم يلتزم ما يراه لازما له ليطردها، فيلتزم لوازم مخالفة للشرع والعقل، فيجيء الآخر، فيرد عليه، ويبين فساد ما التزمه، ويلتزم هو لوازم أخر لطردها، فيقع أيضا في مخالفة الشرع والعقل.

فالجهمية التزموا لأجلها نفي أسماء الله وصفاته، إذ كانت الصفات أعراضا تقوم بالموصوف، ولا يعقل موصوف بصفة إلا الجسم، فإذا اعتقدوا حدوثه، اعتقدوا حدوث كل موصوف بصفة، والرب تعالى قديم. فالتزموا نفي صفاته، وأسماؤه مستلزمة لصفاته؛ فنفوا أسماءه الحسنى، وصفاته العلا.

والمعتزلة استعظموا نفي الأسماء لما فيه من تكذيب القرآن تكذيبا ظاهر الخروج عن العقل والتناقض؛ فإنه لا بد من التمييز بين الرب وغيره بالقلب

---

(١) النبوات، تحقيق: عبد العزيز الطويان (١ / ٢٥٩ – ٣٦٠)، وانظر: منهاج السنة النبوية (٢ / ٢٦٨ – ٢٦٩)، شرح الأصبهانية، تحقيق: محمد السعوي (١ / ١٣٥ – ١٣٧).

واللسان، فما لا يميز من غيره لا حقيقة له ولا إثبات. وهو حقيقة قول الجهمية ؛ فإنهم لم يثبتوا في نفس الأمر شيئا قديما البتة " [(١)].

وقال في رده على الجهم مبينا اللوازم المترتبة على سلوك هذه الطريقة: " فإن طردها أوجب عليه أن لا يقوم بذات الله لا صفة ولا فعل ولا كلام، وكان ذلك مستلزما لنفي الصانع، ولهذا عظم نكير سلف الأمة عليه وعلى أتباعه من المعتزلة والنجارية والضرارية وغيرهم " [(٢)].

وقال ابن القيم – رحمه الله تعالى – في بيان هذه اللوازم الفاسدة:

" وقالت طائفة أخرى بل هي طريق في نفسها متناقضة مستلزمة لتكذيب الرسول لا يتم سلوكها إلا بنفي ما أثبته، وهي مستلزمة لنفي الصانع بالكلية كما هي مستلزمة لنفي صفاته ونفي أفعاله، وهي مستلزمة لنفي المبدأ والمعاد، فإن هذه الطريقة لا تتم إلا بنفي سمع الرب وبصره وقدرته وحياته وإرادته وكلامه، فضلا عن نفي علوه على خلقه، ونفي الصفات الخبرية من أولها إلى آخرها، ولا تتم إلا بنفي أفعاله جملة، وأنه لا يفعل شيئا البتة إذ لم يقم به فعل، وفاعل بلا فعل محال في بدائه العقول، فلو صحت هذه الطريق نفت الصانع وصفاته وأفعاله وكلامه وخلقه للعالم وتدبيره له، وما يثبته أصحاب هذه الطريقة من ذلك لا حقيقة له، بل هو لفظ لا معنى له، فأنتم تثبتون ذلك وتصرحون بنفي لوازمه البينة التي لا ريب في لزومها، فتثبتون ما لا حقيقة له بل ما يخالف العقل الصريح، كما تنفون ما دل العقل الصريح على إثباته، فهي مستلزمة لإنكار جميع الصفات والأفعال والعلو والكلام، وذلك يستلزم نفي الرسالة، فحقيقتها جحد الرسالة والمرسل، ولوازمها الباطلة اكثر من مائة لازم لا تحصى إلا بكلفة.

---

(١) النبوات، تحقيق: عبد العزيز الطويان (١ / ٢٦١ – ٢٦٢).

(٢) الصفدية (٢ / ٦٤).

فـأول لوازمها نفي الصفات، ونفي الأفعال، ونفي العلو، ونفي الكلام، ونفي الرؤية.

ومن لوازمها القول بخلق القرآن، وبهذه الطريق استجيز ضرب الإمام أحمد لما قال بما يخالفها من إثبات الصفات وتكلم الله بالقرآن ورؤيته في الدار الآخرة، وكان أرباب هذه الطريقة هم المستولين على الخليفة فقالوا: له اضرب عنقه فإنه كافر مشبه مجسم، فقيل له: إنك إن قتلته ثارت عليك العامة ولم تأمن معرتهم، فأمسكوا عن قتله لذلك بعد الضرب الشديد.

ومـن لوازمه أن الرب تعالى كان معطلا عن الفعل من الأزل، والفعل ممتـنع عليه، ثم انتقل من الامتناع الذاتي إلى الإمكان الذاتي بغير موجب في ذلـك الوقت دون ما قبله، وهذا مما اعترى الفلاسفة بالقول بقدم العالم، ورأوا أنه خير من القول بذلك، بل حقيقة هذا القول أن الفعل لم يزل ممتنعا منه أزلا وأبدا؛ إذ يستيحل قيامه به.

وعن هذه الطريق قال جهم ومن وافقه بفناء الجنة وفناء أهلها وعدمهم عـدما محضا، وعنها قال أبو الهذيل العلاف بفناء حركاتهم دون ذواتهم، فإذا رفـع أحدهم اللقمة إلى فيه وفنيت الحركات بقيت يده ممدودة لا تتحرك وتبقى كـذلك أبـد الآبدين، وإذا جامع الحوراء وفنيت الحركات يبقيان كذلك في تلك الحال أبد الآبدين فيبقون في سكون الأحجار.

وعـن هـذه الطـريق قالت الجهمية: إن الله في كل مكان بذاته، وقال إخوانهم: ليس في العالم ولا خارج العالم، ولا متصلا به ولا منفصلا عنه، ولا مباينا له ولا محادثا له، ولا فوقه ولا خلفه، ولا أمامه ولا وراءه...

وعـنها قالـوا: إن الله سبحانه لم يكلم موسى تكليما، ولا اتخذ إبراهيم خليلا، ولا تجلى للجبل، ولا يتجلى لعباده يوم القيامة، وقالوا ليس له وجه يراه المؤمـنون، ولا يـد خلق بها آدم، وكتب بها التوراة، وغرس بها جنة عدن،

ويقـبض بها السماوات والأرض بيد أخرى، ليس بشيء من ذلك حقيقة إن هو إلا مجازات واستعارات وتخيلات.

وعنها قالوا: إن الله لا يحب ولا يحب ولا يغضب ولا يرضى ولا يضحك ولا يفرح، ولا لـه رحمة ولا رأفة في الحقيقة، بل ذلك كله إرادة محضة، أو ثواب منفصل مخلوق سمي بهذه الأسماء.

وعنها قالوا: إن الكلام معنى واحد بالعين، لا ينقسم ولا يتبعض ولا له جـزء ولا كل، وهو الأمر بكل مأمور، والنهي عن كل منهي، والخبر عن كل مخبر عنه، والاستخبار عن كل مستخبر عنه، كل ذلك حقيقة واحدة بالعين.

وكذلك قالوا في العلم: إنه أمر واحد، فالعلم بوجود الشيء هو عين العلم بعدمه، لا فرق بينهما البتة، وإنما يتعدد التعلق.

وكـذلك قالـوا: إن إرادة إيجاد الشيء هو نفس إرادة إعدامه، ليس هنا إرادات.

وكـذلك رؤية زيد هي نفس رؤية عمرو، ومعلوم أن هذا لا يعقل؛ بل هـو مخالـف لصريح العقل، وهذا كله وأمثاله نشأ عن هذه الطريق واعتقاد صحتها.

ومن العجب أنهم لم يثبتوا بها في الحقيقة صانعا، ولا صفة من صفاته، ولا فعـلا مـن أفعالـه، ولا نـبوة، ولا مبدأ، ولا معادا، ولا حكمة؛ بل هي مـستلزمة لنفـي ذلك كله صريحا، أو لزوما بينا، أو متوسطا، فالطريق التي جعلوها أصلا للدين هي أصل المناقضة للدين وتكذيب الرسول " [1].

---

(١) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (٣ / ١١٩٠ – ١١٩٤).

المطلب الثالث: قولهم في الجوهر والجسم.

الــنجارية ينفون الجوهر الفرد [1]، ولا يقولون: إن الأجسام تتناهى في تجــزئها وانقــسامها حتى تصير أفرادا فكل جزء لا يتجزأ وليس لــه طرف واحد [2].

يقــول شــيخ الإســلام ابــن تيمية: " وقد نفى الجوهر الفرد من أئمة المتكلمــين من ليسوا دون من أثبته، بل الأئمة فيهم أكثر من الأئمة في أولئك، فــنفاه حسين النجار وأصحابه كأبي عيسى برغوث ونحوه، وضرار بن عمرو وأصحابه كحفص الفرد ونحوه " [3].

و الــنجارية لا يقولــون: إن الأجــسام والأعيان المشهودة مركبة من الجواهر الفردة [4].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: " والناس قد تنازعوا في الأجسام المخلوقة كالكــواكب والفلــك والهواء والماء وغير ذلك: فقيل: هي مركبة من الجواهر المنفردة.

وقــيل: مــركبة من المادة والصورة، ومنه من فرق بين الجسم الفلكي والعنصري.

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل (١ / ٣٠٣، ٣ / ٣٥٥، ٤٤٤، ٤ / ١٣٥ – ١٣٦، ٢٠١، ٧ / ٢٢١)، مجمــوع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٧ / ٢٤٤)، شرح قصيدة الإمام ابن القيم (٢ / ٣١٥).

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٥ / ٣٩٢).

(٣) بيان تلبيس الجهمية (١ / ٢٨٤).

(٤) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٤ / ٢٠١، ٥ / ٣٩٢، ٦ / ٢٩٢، ١٠ / ٢٩٦)، انظر: مــنهاج الــسنة النــبوية (٢ / ١٣٧، ١٦٥، ٥٣١)، الصفدية (١/ ١١٧) العقيدة الأصفهانية (ص ٤١).

والـصواب عند محققي الطوائف: أنها ليست مركبة لا من هذا ولا من هـذا؛ وهـذا قول أكثر أهل الطوائف أهل النظر مثل: الهشامية، والضرارية، والنجارية، والكلابية، وطائفة من الكرامية وغيرهم " [1].

ولما نفت النجارية الجوهر الفرد نفوا تماثل الأجسام، فقالوا: إن الأجسام غيـر متماثلة [2]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية نقلا عن الآمدي: " قال في كتابه هذا الكبير: الفصل الرابع في أن الجواهر متجانسة غير متحدة:

اتفقت الأشاعرة وأكثر المعتزلة على أن الجواهر متماثلة متجانسة.

وذهـب النظام والنجار من المعتزلة بناء على قولهما بتركب الجواهر مـن الأعـراض: إلـى أن الجواهر إن تركبت من الأعراض المختلفة فهي مخـتلفة؛ ولهذا فإنا ندرك الاختلاف بين بعض الجواهر كالاختلاف الواقع بين الـنار والهـواء والمـاء والتراب ضرورة، كما يدرك الاختلاف بين السواد والبـياض والحـرارة والبـرودة والـرطوبة واليبوسة وسائـر الأعراض المختلفة " [3].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية معلقا على كلام الآمدي: " قلت: النجار ليس هـو من المعتزلة، بل هو رأس مقالة، وهو يخالف المعتزلة في القدر فيثبته، وفي غير ذلك من أصول المعتزلة، لكنه يوافقهم على نفي الصفات، ويخالفهم أيضا في تماثل الأسماء والأحكام والوعيد.

---

(١) الـصفدية (١/ ١١٧)، و انظـر: مجمـوع فـتاوى شـيخ الإسلام ابن تيمية (٥ / ٤٢٤، ٩/ ٢٩٩)، بـيان تلبيس الجهمية (١ /٥٠٦)، الرد على المنطقيين (ص ٦٧)، شرح قصيدة الإمام ابن القيم (٢ / ١٨٣).

(٢) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٧ / ٢٤٤).

(٣) درء تعارض العقل والنقل (٤ / ١٧٦ – ١٧٧)، و انظر: المواقف، (٢ / ٣٢٥).

وجمهور الناس على أن الأجسام مختلفة من الفلاسفة والمتكلمين وغيرهم، وقد ذكر الأشعري في مقالاته النزاع في ذلك " (١).

ثم ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية اعتراف الآمدي بأنه لا حجة للقائلين بالتماثل فقال:

" قال: فإن قيل ما ذكرتموه وإن دل على إبطال مأخذ القائلين بالاختلاف، فما دليلكم في التماثل والتجانس؟

فلئن قلتم: دليل التماثل اشتراك جميع الجواهر في صفات نفس الجوهر، وهي التحيز وقبول الأعراض والقيام بنفسه.

فنقول: وما المانع من كون الجواهر مختلفة بذواتها، وإن اشتركت فيما ذكرتموه من الصفات، فإنه لا مانع من اشتراك المختلفات في عوارض عامة لها، وإنما يثبت كون ما ذكرتموه صفات نفس الجوهر أن لو لم يكن الجواهر مختلفة، وهذه أعراض عامة لها، وإنما يمتنع كون الجواهر مختلفة، وأن هذه اعراض عامة لها، أن لو كانت هذه الصفات صفات نفس الجوهر، وهو دور ممتنع.

قال: واعلم أن طرق أهل الحق في إثبات المجانسة وإن اختلفت عباراتها، فكلها آيلة إلى ما ذكر، وما قيل عليه من الإشكال فلازم لا مخلص منه إلا بأن يقال: نحن لا نعني بتجانس الجواهر غير كونها مشتركة فيما ذكرناه من الصفات، وعند ذلك فحاصل النزاع يرجع إلى التسمية لا إلى نفس المعنى " (٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية معلقا على اعتراف الآمدي:

"قلت: فهذا قوله مع اطلاعه على طرق القائلين بالتجانس ورغبته في نصرهم لو امكنه، فذكر أن جميع ما ذكروه من الطرق يرجع إلى ما ذكره،

(١) درء تعارض العقل والنقل (٤ / ١٧٧ – ١٧٨).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٤ / ١٧٨– ١٧٩).

وهو مما يعلم بالاضطرار أنه لا يدل على تماثلها، بل يدل على اشتراكها في معنى من المعاني، وليس جعل ما به من الاشتراك هو الذات وما به الاختلاف من الصفات بأولى من العكس، وهذا على سبيل التنزل، وإلا فنحن نعلم بالضرورة والحس اختلاف الأجسام المختلفة، كما نعلم اختلاف الأعراض المختلفة.

وما ذكره من أن الاختلاف عائد إلى الأعراض لا إلى المعروض فمخالفة للحس، فإن نفس النار مخالفة للماء ليس مجرد حرارة النار هي المخالفة لبرودة الماء، بل نحن نعلم أن النار تخالف الماء أعظم مما نعلم أن الحرارة تخالف البرودة، وذلك أن الحرارة والبرودة بينهما من الاشتراك في الكيفيات مثل كون كل منهما عرضا قائما بغيره، وهو صفة محسوسة باللمس، وكذلك بين السواد والبياض من الاشتراك في العرضية واللونية والقيام بالغير والرؤية بالبصر وغير ذلك من الصفات، أعظم من الاشتراك بين الماء والنار، فإن الاشتراك بينهما هو في القدر ونحو ذلك من الكميات، والاشتراك في الكيفية أعظم من الاشتراك في الكمية، فإذا كان ذلك لا يوجب التماثل فذاك بطريق الأولى.

وأيضا فالحرارة قد تنكسر بالبرودة في مثل الفاتر، فإنه لا يبقى حارا كحرارة النار، ولا باردا برودة الماء المحض، وأما نفس الماء والنار فلا يجتمعان.

وأيضا فالأعراض المختلفة تشترك في محل واحد، وأما نفس الأقسام فلا تشترك في محل واحد " [1].

و الصواب هو القول بأن الأجسام مختلفة وغير متماثلة [2]، والقول بالتماثل قول باطل فاسد، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٤ / ١٧٩ – ١٨٠).

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل (١ / ٣٠٣، ٣ / ٧٨).

" أصـــل دعوى تماثل الأجسام من أفسد الأقوال، بل القول في تماثلها واخـــتلافها كالقــول في تماثل الأعراض واختلافها، فإنها تتماثل تارة وتختلف أخرى " (١).

وقال أيضا:

" ولا ريب أن قولهم بتماثل الأجسام قول باطل سواء فسروا الجسم بما يـــشار إليه، أو بالقائم بنفسه، أو بالموجود، أو بالمركب من الهيولي والصورة ونحو ذلك.

فأما إذا فسروه بالمركب من الجواهر المفردة، وعلى أنها متماثلة، فهذا ينبني على صحة ذلك، وعلى إثبات الجوهر الفرد، وعلى أنه متماثل، وجمهور العقلاء يخالفونهم في ذلك " (٢).

وقال ابن القيم:

" أنك إذا تأملت العقليات التي زعموا أنها تفيد اليقين وقدموها على كلام الله ورسوله، وجدتها مخالفة لصريح المعقول، وقد اعترفوا أنها مخالفة لظاهر المـــنقول، وهـــذا لا يعـــرف إلا بالامتحان كحكم عقولهم بأن العرض لا يبقى زمانين، وأن الأجسام كلها متماثلة، فجسم النار مساو لجسم الماء في الحقيقة، وإنما اختلفا بالأعراض، وجسم البول مساو لجسم المسك بالحقيقة، وإنما اختلفا في أعراضهما " (٣).

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٥ / ١٩٢).

(٢) بيان تلبيس الجهمية (١ / ٥١٨).

(٣) الصواعق المرسلة (٢ / ٦٤٢).

المبحث الثالث: قولهم في أسماء الله الحسنى، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: قولهم في الأسماء.

النجارية يثبتون الأسماء الحسنى لله تعالى في الجملة، وينكرون على الذين ينفون أن يسمى الله بشيء من الأسماء التي يسمى بها المخلوق، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان ذلك:

" والقرامطة الباطنية كالجهمية الذين ينفون أن يسمى الله بشيء من الأسماء التي يسمى بها مخلوق؛ لبسوا على الناس بلفظ التشبيه و التركيب، ولهذا أنكر جماهير الطوائف عليهم من المعتزلة والنجارية والضرارية ومتكملة الصفاتية وغيرهم، بل أنكر عليهم من أنكر من الفلاسفة؛ مع تناقض كثير من الناس معهم " (١).

وإثبات الأسماء الحسنى لله تعالى حق لاريب فيه، كما دل على ذلك الكتاب والسنة، وأجمع عليه أهل العلم.

المطلب الثاني: قولهم في اسم النور.

أول ابن النجار اسم النور، وزعم أنه بمعنى الهادي، يقول الأشعري:

" وكان الحسين النجار يزعم: أنه نور السموات والأرض بمعنى: أنه هادى أهل السموات والأرض " (٢).

وهذا القول من أقوال الجهمية، وهو مخالف لقول أهل السنة الذين يثبتون اسم النور، ولا يأولونه، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

" بل جماهير المسلمين لا يتأولون هذا الاسم وهذا مذهب السلفية وجمهور الصفاتية من أهل الكلام والفقهاء والصوفية وغيرهم، وهو قول أبي سعيد بن كلاب ذكره في الصفات ورد على الجهمية تأويل اسم النور، وهو شيخ المتكلمين الصفاتية من الأشعرية - الشيخ الأول - وحكاه عنه أبو بكر

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٥ / ١٨٤).

(٢) مقالات الإسلاميين (٢ / ٢١٤).

بن فورك في كتاب " مقالات ابن كلاب " , والأشعري ولم يذكرا تأويله إلا عن الجهمية المذمومين باتفاق وهو أيضا قول أبي الحسن الأشعري ذكره في " الموجز " " [١].

المطلب الثالث: قولهم في الاسم والمسمى.

النجارية يقولون: إن الاسم غير المسمى، وأسماء الله غيره، وما كان غيره فهو مخلوق، فإذا أسماء الله مخلوقة، وقد وافقوا في ذلك الجهمية و المعتزلة، يقول الالكائي: " ومن أعظم الشرك أن يقال: إن العبادة لاسمه، واسمه مخلوق، وقد أمر بالعبادة للمخلوق.

وهذا قول المعتزلة، والنجارية وغيرهم من أهل البدع والكفر والضلالة " [٢].

المناقشة:

قول النجارية والمعتزلة بأن الاسم غير المسمى و أن أسماء الله مخلوقة قول فاسد باطل، والحق في هذه المسألة أن يقال: أسماء الله غير مخلوقة، والاسم للمسمى، كما قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [٣].

و" المعروف عن أئمة السنة إنكارهم على من قال أسماء الله مخلوقة، وكان الذين يطلقون القول بأن الاسم غير المسمى هذا مرادهم ; فلهذا يروى عن الشافعي والأصمعي وغيرهما أنه قال: (إذا سمعت الرجل يقول: الاسم غير المسمى فاشهد عليه بالزندقة) [٤] ; ولم يعرف أيضا عن أحد من السلف

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٦ / ٣٧٩).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢ / ٢٣٠).

(٣) سورة الأعراف:١٨٠.

(٤) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢ / ٢٣٢، ٢٣٧، ٢٤٠)، الاعتقاد و الهداية إلى سبيل الرشاد (ص ٧٢).

أنـــه قـــال الاسم هو المسمى ; بل هذا قاله كثير من المنتسبين إلى السنة بعد الأئمة وأنكره أكثر أهل السنة عليهم.

ثـــم منهم من أمسك عن القول في هذه المسألة نفيا وإثباتا ; إذ كان كل من الإطلاقين بدعة كما ذكره الخلال عن إبراهيم الحربي وغيره " [١].

يقول الطبري: " وأما القول في الاسم أهو المسمى أم غير المسمى؟ فإنه مـــن الحماقـــات الحادثـــة التـــي لا أثر فيها فيتبع، ولا قول من إمام فيستمع، فالخوض فيه شين، والصمت عنه زين، وحسب امرء من العلم به والقول فيه أن ينتهـــي إلى قول الله عز وجل ثناؤه الصادق وهو قوله: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَـٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [٢]، و قـــوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [٣] " [٤].

" وهذا هو القول بأن الاسم للمسمى.

وهذا الإطلاق اختيار أكثر المنتسبين إلى السنة من أصحاب الإمام أحمد وغيره "[٥].

يقول ابن القيم: " إن منشأ الغلط في هذا الباب من إطلاق ألفاظ مجملة محـــتملة لمعنيـــين صحيح وباطل، فلا ينفصل النزاع إلا بتفصيل تلك المعاني وتنـــزيل ألفاظهـــا علـــيها، ولا ريـــب أن الله تبارك وتعالى لم يزل ولا يزال موصوفا بصفات الكمال المشتقة أسماؤه منها، فلم يزل بأسمائه وصفاته، وهو

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٦ / ١٨٦ – ١٨٧).

(٢) سورة الإسراء: ١١٠.

(٣) سورة الأعراف: ١٨٠.

(٤) صـــريح السنة، للطبري (ص ٢٦ – ٢٧)، و انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٦ / ١٨٧).

(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٦ / ١٨٧).

إلـــه واحـــد له الأسماء الحسنى والصفات العلى، وأسماؤه وصفاته داخلة في مـــسمى اســـمه، وإن كان لا يطلق على الصفة أنها إله يخلق ويرزق، فليست صفاته وأسماؤه غيره، وليست هي نفس الإله.

وبلاء القوم من لفظة الغير؛ فإنه يراد بهما معنيين:

أحـــدهما: المغايـــر لتلك الذات المسماة بالله، وكل ما غاير الله مغايرة محضة بهذا الإعتبار فلا يكون إلا مخلوقا.

ويراد به مغايرة الصفة للذات إذا خرجت عنها، فإذا قيل: علم الله وكلام الله غيـــره، بمعنـــى: أنـــه غير الذات المجردة عن العلم والكلام، كان المعنى صحيحا، ولكن الإطلاق باطل.

وإذا أريـــد أن العلم والكلام مغاير لحقيقته المختصة التي امتاز بها عن غيره كان باطلا لفظا ومعنى.

وبهـــذا أجـــاب أهل السنة المعتزلة القائلين بخلق القرآن، وقالوا: كلامه تعالى داخل في مسمى اسمه، فالله تعالى اسم الذات الموصوفة بصفات الكمال، ومـــن تلك الصفات صفة الكلام، كما أن علمه وقدرته وحياته وسمعه وبصره غيـــر مخلـــوقة، وإذا كـــان القرآن كلامه وهو صفة من صفاته فهو متضمن لأســـمائه الحسنى، فإذا كان القرآن غير مخلوق، ولا يقال: إنه غير الله فكيف يقال: إن بعض ما تضمنه وهو أسماؤه مخلوقة وهي غيره؟

فقـــد حصحص الحق بحمد الله، وانحسم الإشكال، وأن أسماءه الحسنى التـــي في القرآن من كلامه، وكلامه غير مخلوق، ولا يقال هو غيره ولا هو هو.

وهذا المذهب مخالف لمذهب المعتزلة الذين يقولون: أسماؤه تعالى غيره، وهي مخلوقة، ولمذهب من رد عليهم ممن يقول اسمه نفس ذاته لا غيره، وبالتفصيل تزول الشبه، ويتبين الصواب، والحمد لله " (١).

المبحث الرابع: قولهم في الصفات.

النجارية وافقوا المعتزلة على نفي الصفات، وخالفوهم في نفي القدر (٢).

يقول الأشعري في حديثه عن ابن النجار:

" وكان يزعما أن الله سبحانه لم يزل جوادا بنفي البخل عنه، وأنه لم يزل متكلما بمعنى أنه لم يزل غير عاجز عن الكلام، وأن كلام الله سبحانه محدث مخلوق.

وكان يقول في التوحيد بقول المعتزلة إلا في باب الإرادة والجود، وكان يخالفهم في القدر، ويقول بالإرجاء " (٣).

وقال عبد القاهر البغدادي عن النجارية: " وأما الذي وافقوا فيه القدرية فنفي علم الله تعالى وقدرته وحياته وسائر صفاته الأزلية، وإحالة رؤيته بالأبصار، والقول بحدوث كلام الله تعالى " (٤).

وقال الشهرستاني: " ووافقوا المعتزلة في نفي الصفات؛ من العلم، والقدرة، والإرادة، والحياة، والسمع، والبصر" (٥).

---

(١) بدائع الفوائد (١ / ١٧ – ١٨)، و انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٦ / ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧).

(٢) انظر: الغنية لطالبي طريق الحق (١ / ٢٣٩)، العقيدة الأصفهانية (ص ٨٥).

(٣) مقالات الإسلاميين (١ / ٣٤١ – ٣٤٢)، انظر: الغنية لطالبي طريق الحق (١ / ٢٣٩).

(٤) الفرق بين الفرق (ص ٢١٨)، و انظر: أصول الدين (ص ٣٣٤)، التبصير في الدين (ص ١٠١).

(٥) الملل والنحل (١ / ١٠٠).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

" النجار ليس هو من المعتزلة بل هو رأس مقالة، وهو يخالف المعتزلة في القدر فيثبته وفي غير ذلك من أصول المعتزلة، لكنه يوافقهم على نفي الصفات، ويخالفهم أيضا في مسائل الأسماء والأحكام والوعيد " (١).

وقال أيضا: " فهذه الطريق التي سلكها هؤلاء القدرية هي الطريق التي سلكها من وافقهم على نفي الصفات أو بعضها من الجهمية كجهم بن صفوان وحسين النجار وضرار بن عمرو وغيرهم، فإن هؤلاء يثبتون القدر، ويوافقون المعتزلة على نفي الصفات " (٢).

وأكد شيخ الإسلام ابن تيمية على أن النجارية لا يقولون بقول الجهمية في نفي الصفات، بل بقول المعتزلة (٣).

المناقشة:

قول النجارية بنفي الصفات قول باطل، مخالف للكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح، بل " إثبات الصفات لله هو مذهب جماهير الأمة سلفها وخلفها، وهو مذهب الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وأئمة المسلمين المتبعين، وأهل السنة والجماعة، وسائر طوائف أهل الكلام مثل الهشامية، والكرامية، والكلابية، والأشعرية وغيرهم، وإنما نازع في ذلك الجهمية وهم عند سلف الأمة وأئمتها وجماعتها من أبعد الناس عن الإيمان بالله ورسوله، ووافقهم المعتزلة ونحوهم ممن هم عند الأمة مشهورون بالابتداع " (٤).

و" الأصل في هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفته به رسله: نفيا وإثباتا؛ فيثبت لله ما أثبته لنفسه، وينفي عنه ما نفاه عن

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٤ / ١٧٧ – ١٧٨).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٥ / ٢٥٢).

(٣) انظر: جامع الرسائل (١/ ١٥٥ – ١٥٦).

(٤) منهاج السنة النبوية (١ / ٢٧٠).

نفسه، وقد علم أن طريقة سلف الأمة وأئمتها إثبات ما أثبته من الصفات من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل.

وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه مع إثبات ما أثبته من الصفات من غير إلحاد: لا في أسمائه ولا في آياته، فإن الله تعالى ذم الذين يلحدون في أسمائه وآياته كما قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [1] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ﴾ [2] الآية.

فطريقتهم تتضمن إثبات الأسماء والصفات مع نفي مماثلة المخلوقات: إثباتا بلا تشبيه، وتنزيها بلا تعطيل كما قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [3]. ففي قوله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [4] رد للتشبيه والتمثيل، وقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [5] رد للإلحاد والتعطيل.

والله سبحانه: بعث رسله بإثبات مفصل ونفي مجمل، فأثبتوا لله الصفات على وجه التفصيل، ونفوا عنه ما لا يصلح له من التشبيه والتمثيل " [6].

---

(١) سورة الأعراف:١٨٠.

(٢) سورة فصلت: ٤٠.

(٣) سورة الشورى: ١١.

(٤) سورة الشورى: ١١.

(٥) سورة الشورى: ١١.

(٦) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣ / ٣ – ٤).

فالخلاصة أن " مذهب السلف أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه، وما وصفه به رسوله من غير تحريف، ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل.

فــلا ينفون عنه ما أثبته لنفسه من الصفات، ولا يمثلون صفاته بصفات المخلوقين.

فالنافي: معطل، والمعطل يعبد عدما.

والمشبه: ممثل، والممثل يعبد صنما " [١].

المبحث الخامس: قولهم في القرآن ، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: قولهم القرآن مخلوق.

الــنجارية يقولون: إن القرآن مخلوق خلقه الله منفصلا عنه، وهذا قول الجهمية، والمعتزلة [٢].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: " وكان أحمد بن أبي دؤاد قد جمع له نفاة الــصفات القائلــين بخلق القرآن من جميع الطوائف. فجمع له مثل أبي عيسى محمد بن عيسى برغوث ومن أكابر النجارية أصحاب حسين النجار.

وأئمــة السنة - كابن المبارك وأحمد بن إسحاق والبخاري وغيرهم - يسمون جميع هؤلاء: جهمية.

وصار كثير من المتأخرين - من أصحاب أحمد وغيرهم - يظنون أن خــصومه كانوا المعتزلة، ويظنون أن بشر بن غياث المريسي - وإن كان قد مات قبل محنة أحمد وابن أبي دؤاد ونحوهما - كانوا معتزلة، وليس كذلك؛ بل المعتزلة كانوا نوعا من جملة من يقول القرآن مخلوق.

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٨ / ٤٣٢).

(٢) انظر: الغنية لطالبي طريق الحق (١ / ٢٣٩)، منهاج السنة النبوية (٢ / ٣٥٩، ٣٦٧)، العقــيدة الأصــفهانية (ص ٦٠)، درء تعارض العقل والنقل (٢ / ٤٨)، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٦ / ١٦١، ١٨٤، ٧ / ٦٦٢، ١٢ / ١١٩)، لمع الأدلة (١ / ١٠٢).

وكانت الجهمية أتباع جهم، والنجارية أتباع حسين النجار، والضرارية أتباع ضرار بن عمرو، والمعتزلة هؤلاء يقولون: القرآن مخلوق " [١].

وافتـــرقت النجارية فيما بينهم في العبارة عن خلق القرآن، بعد الاتفاق على القول بأن القرآن مخلوق على أقوال:

فقالت الزعفرانية: إن كلام الله تعالى غيره، وكل ما هو غير الله تعالى مخلوق، ومع ذلك قالت: كل من قال: إن القرآن مخلوق فهو كافر[٢].

قـــال الـــشهرستاني: " لعلهـــم أرادوا بـــذلك الاختلاف، وإلا فالتناقض ظاهـــــر " [٣].

وقال عبد القاهر البغدادي: إن ابن الزعفراني كان يناقض بآخر كلامه أوله فيقول: " إن كلام الله تعالى غيره، وكل ما هو غير الله تعالى مخلوق، ثم يقول مع ذلك: الكلب خير ممن يقول: كلام الله مخلوق " [٤].

وقالت المستدركة: إن القرآن مخلوق، ثم افترقوا فيما بينهم فرقتين:

" فـــرقة زعمت أن النبي عليه السلام قد قال: إن كلام الله مخلوق على ترتيب هذه الحروف، ولكنه اعتقد ذلك بهذه اللفظة على ترتيبه حروفها، ومن لم يقل إن النبي عليه السلام قال ذلك على ترتيب هذه الحروف فهو كافر.

وقالت الفرقة الثانية منهم: إن النبي عليه السلام لم يقل كلام الله مخلوق على ترتيب هذه الحروف، ولكنه اعتقد ذلك ودل عليه، ومن زعم أنه قال: إن كلام الله مخلوق بهذه اللفظة فهو كافر " [٥].

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٤ / ٣٥٢).

(٢) انظر: الملل والنحل (١ / ١٠١)، الفرق بين الفرق (ص ٢١٩).

(٣) الملل والنحل (١ / ١٠١).

(٤) الفـــرق بين الفرق (ص ٢١٩)، و انظر: أصول الدين (ص ٣٣٤)، و التبصير في الدين (ص ١٠٢).

(٥) الفـــرق بين الفرق (ص ٢١٩ ـــ ٢٢٠)، و انظر: أصول الدين (ص ٣٣٤)، والتبصير في الدين (ص ١٠٢ـــ ١٠٣)، الملل والنحل (١ / ١٠١).

فقـــول النجار في كلام الله تعالى هو بعينه قول المعتزلة، إلا أنه انفرد عنهم فقط في المقروء والمكتوب فقال: " إن كلام الباري تعالى إذا قرئ فهو عرض، وإذا كتب فهو جسم " [1].

وزعـــم أيضا: " أنه لو كتب بالدم صار ذلك الدم المقطع تقطيع حروف الكلام كلاما لله تعالى بعد أن لم يكن كلاما حين كان دما مسفوحا " [2].

فالخلاصة: أنهم اتفقوا على القول بأن القرآن مخلوق، قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

" وكانت الجهمية أتباع جهم والنجارية أتباع حسين النجار، والضرارية أتباع ضرار بن عمرو، والمعتزلة هؤلاء يقولون: القرآن مخلوق " [3].

المناقشة:

اجمـــع الـــصحابة والـــتابعون، وجميع أهل السنة وأئمة الفقه: على أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق.

والقول بأن القرآن مخلوق هو قول الجهمية، وهو مخالف لقول السلف، فقـــد أجمعـــوا على أن القرآن كلام الله، وأن كلام الله غير مخلوق، و أجمعوا علـــى كفر من قال: إن القرآن مخلوق، وقد وردت عن السلف آثار كثيرة في هذا الأمر، وسأورد بعض هذه الآثار، فمن ذلك:

١ - قـــال ســـفيان بن عيينة: (أدركت مشيختنا منذ سبعين سنة منهم عمرو بن دينار يقولون: القرآن كلام الله وليس بمخلوق) [4].

---

(١) الملل والنحل (١ / ١٠١).

(٢) الفـــرق بين الفرق (ص ٢١٨)، و انظر: أصول الدين (ص ٣٣٤)، و التبصير في الدين (ص ١٠١).

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٤ / ٣٥٢).

(٤) أخـــرجه الـــبخاري في كتاب خلق الأفعال (٢ / ٦ رقم ١)، و اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢ / ٢٣٦).

٢ - وجاء رجل إلى عبدالله بن إدريس الشافعي فقال: (يا أبا محمد ما تقول في قوم يقولون القرآن مخلوق؟ قال: أمن اليهود. قال: لا. قال: أفمن النصارى؟ قال: لا. قال: أفمن المجوس؟ قال: لا. قال: فممن؟ قال: من أهل التوحيد. قال: ليس هؤلاء من أهل التوحيد، هؤلاء الزنادقة، من زعم أن القرآن مخلوق فقد زعم أن الله مخلوق، يقول الله عز وجل: (بسم الله الرحمن الرحيم) فالله لا يكون مخلوقا، والرحمن لا يكون مخلوقا، والرحيم لا يكون مخلوقا، فهذا أصل الزندقة، من قال هذا، فعليه لعنة الله، لا تجالسوهم، ولا تناكحوهم) [1].

٣ - وقيل لأبي بكر بن عياش [2]: إن قوما ببغداد يقولون: إنه مخلوق، فقال: (ويلك، من قال هذا !! على من قال: القرآن مخلوق، لعنة الله، وهو كافر زنديق، لا تجالسوهم) [3].

٤ - وقال الثوري: (من قال: القرآن مخلوق فهو كافر) [4].

٥ - وقال حماد بن زيد: (القرآن كلام الله نزل به جبريل؛ ما يحاولون إلا أنه ليس في السماء إله) [5].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب خلق الأفعال (٢ / ١٠ رقم ٥)، وعبد الله بن أحمد في كتاب السنة (١ / ١١٣)، والآجري في الشريعة (١ / ٤٩٦)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢ /٢٥٧).

(٢) أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدي الكوفي، ثقة عابد إلا أنه ساء حفظه، وكتابه صحيح، مات سنة ١٩٤ هـ.

انظر في ترجمته: تهذيب التهذيب (١٢ / ٣٤)، تقريب التهذيب (ص ١١١٨).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب خلق الأفعال (٢ / ١٢ رقم ٨)، والآجري في الشريعة (١ / ٤٩٩)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢ / ٢٥٠).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب خلق الأفعال (٢ / ١٣ رقم ٩)، والخلال في السنة (٧ / ٣٨).

(٥) أخرجه البخاري في كتاب خلق الأفعال (٢ / ١٣ رقم ١٠)، وعبد الله بن أحمد في كتاب السنة ١ / ١١٧ - ١١٨، وابن أبي حاتم في الرد على الجهمية كما ذكر ذلك الذهبي في العلو ٢ / ٩١٤ رقم ٣٢٤ , و ٢ / ٩٧٠ رقم ٣٥٢، وذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتوى الحموية الكبرى (ت التويجري) (ص ٣٣٧)، وصحح إسناده .

٦ - قال أبو الوليد الطيالسي: (من قال: القرآن مخلوق فهو كافر، ومن لم يعقد قلبه على أن القرآن ليس بمخلوق فهو كافر خارج عن الإسلام) [١].

٧ - قال عبيدالله بن عائشة [٢]: (لا يصلى خلف من قال: القرآن مخلوق، ولا كرامة له) [٣].

٨ - وقال ابن مهدي: (لو رأيت رجلا على الجسر - وبيدي سيف - يقول: القرآن مخلوق؛ لضربت عنقه) [٤].

المطلب الثاني: شبهتهم والجواب عنها.

بين شيخ الإسلام ابن تيمية أن شبهة النجارية في القول بخلق القرآن هي أنهم قالوا:

" إن إثبات الصفات يوجب أن يكون جسما وليس بجسم، فلا تثبت له الصفات.

قالوا: لأن المعقول من الصفات أعراض قائمة بجسم، لا تعقل صفته إلا كذلك.

قالوا: والرؤية لا تعقل إلا مع المعاينة، فالمعاينة لا تكون إلا إذا كان المرئي بجهة، ولا يكون بجهة إلا ما كان جسما.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب خلق الأفعال (٢ / ٢٤ رقم ٣٣)، والخلال في السنة (٦ /٩٢)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢ / ٢٥٩).

(٢) عبيدالله بن محمد بن حفص التيمي، ابن عائشة، نسبة إلى عائشة بنت طلحة، ثقة جواد، رمي بالقدر ولم يثبت، مات سنة ٢٢٨ هـ.

انظر في ترجمته: تهذيب التهذيب (٧ / ٤٥)، تقريب التهذيب (ص ٦٤٤).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب خلق الأفعال (٢ / ٣١ رقم ٤٦).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب خلق الأفعال (٢ / ٣٢ رقم ٤٩)، وعبد الله بن أحمد في كتاب السنة (١ / ١١٩)، والآجري في الشريعة (١ / ٥٠٢، ٥٠٣)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢ / ٣١٦).

وقد أورد هذه الآثار ابن القيم في الصواعق المرسلة (٤ / ١٣٦٩ - ١٤٠٣).

قالـــوا: ولأنـــه لو قام به كلام أو غيره للزم أن يكون جسما، فلا يكون الكلام المضاف إليه إلا مخلوقا منفصلا عنه " [1].

الجواب عن الشبهة:

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية الجواب عن هذه الشبهة فقال:

"وهذه المعاني مما ناظروا بها الإمام أحمد في المحنة، وكان ممن احتج على أن القرآن مخلوق بنفي التجسيم أبو عيسى محمد بن عيسى برغوث تلميذ حسين النجار، وهو من أكابر المتكلمين.

فـــإن ابـــن أبـــي دؤاد كان قد جمع للإمام أحمد من أمكنه من متكلمي البـــصرة وبغـــداد وغيرهم ممن يقول: إن القرآن مخلوق، وهذا القول لم يكن مختـــصا بالمعتـــزلة كما يظنه بعض الناس؛ فإن كثيرا من أولئك المتكلمين أو أكثرهم لم يكونوا معتزلة، وبشر المريسي لم يكن من المعتزلة؛ بل فيهم نجارية ومنهم برغوث.

وفـــيهم ضرارية، وحفص الفرد الذي ناظر الشافعي كان من الضرارية أتباع ضرار بن عمرو.

وفـــيهم مـــرجئة ومـــنهم بشر المريسي، ومنهم جهمية محضة، ومنهم معتزلة.

وابـــن أبـــي دؤاد لـــم يكـــن معتزليا؛ بل كان جهميا ينفي الصفات، والمعتزلة تنفي الصفات، فنفاة الصفات الجهمية أعم من المعتزلة.

فلما احتج عليه برغوث: بأنه لو كان يتكلم ويقوم به الكلام لكان جسما وهذا منفي عنه.

وأحمـــد وأمـــثاله من السلف كانوا يعلمون أن هذه الألفاظ التي ابتدعها المتكلمون كلفظ الجسم وغيره؛ ينفيها قوم ليتوصلوا بنفيها إلى نفي ما أثبته الله تعالى ورسوله؛ ويثبتها قوم ليتوصلوا بإثباتها إلى إثبات ما نفاه الله ورسوله.

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٧ / ٢٩٩).

فالأولـــى: طــريقة الجهمـــية من المعتزلة وغيرهم: ينفون الجسم حتى يـــتوهم المـــسلمون أن قـــصدهم التنزيه، ومقصودهم بذلك أن الله لا يرى في الآخرة، وأنه لم يتكلم بالقرآن ولا غيره بل خلق كلاما في غيره، وأنه ليس له علم يقوم به ولا قدرة ولا حياة ولا غير ذلك من الصفات " [١].

" والثانـــية: طريقة هشام وأتباعه يحكى عنهم: أنهم أثبتوا ما قد نزه الله نفسه عنه من اتصافه بالنقائص ومماثلته للمخلوقات.

فأجابهم الإمام أحمد بطريقة الأنبيــــاء وأتباعهم، وهو الاعتصام بحبل الله " [٢].

" فاتـــبع الإمام أحمد طريقة سلفه من أئمة السنة والجماعة المعتصمين بالكتاب والسنة المتبعين ما أنزل الله إليهم من ربهم، وذلك أن ننظر فما وجدنا الرب قد أثبته لنفسه في كتابه أثبتناه، وما وجدناه قد نفاه عن نفسه نفيناه، وكل لفظ وجد في الكتاب والسنة بالإثبات أثبت ذلك اللفظ، وكل لفظ وجد منفيا نفي ذلك اللفظ.

وأما الألفاظ التي لا توجد في الكتاب والسنة؛ بل ولا في كلام الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين لا إثباتها ولا نفيها، وقد تنازع فيها الـــناس؛ فهـــذه الألفـــاظ لا تثبت ولا تنفى إلا بعد الاستفسار عن معانيها، فإن وجـــدت معانـــيها مما أثبته الرب لنفسه أثبتت، وإن وجدت مما نفاه الرب عن نفـــسه نفيت، وإن وجدنا اللفظ أثبت به حق وباطل، أو نفي به حق وباطل، أو كـــان مجملا يراد به حق وباطل، وصاحبه أراد به بعضها لكنه عند الإطلاق يوهم الناس أو يفهمهم ما أراد وغير ما أراد، فهذه الألفاظ لا يطلق إثباتها ولا نفيها؛ كلفظ الجوهر والجسم والتحيز والجهة ونحو ذلك من الألفاظ التي تدخل

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٧ / ٢٩٩ – ٣٠٠).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٧ / ٣٠١).

في هذا المعنى، فقل من تكلم بها نفيا أو إثباتا إلا وأدخل فيها باطلا، وإن أراد بها حقا " [1].

ويـــرد عليهم أيضا فيقال: " قد علم أن المخلوقات لا يتصف بها الخالق فـــلا يتـــصف بمـــا يخلقه في غيره من الألوان والأصوات والروائح والحركة والعلم والقدرة والسمع والبصر فكيف يتصف بما يخلقه في غيره من الكلام.

ولـــو جاز ذلك لكان ما يخلقه من إنطاق الجمادات كلامه، ومن علم أنه خالق كلام العباد وأفعالهم يلزمه أن يقول: كل كلام في الوجود فهو كلامه كما قال بعض الاتحادية: وكل كلام في الوجود كلامه سواء علينا نثره ونظامه.

وهذا قول الجهمية والنجارية والضرارية وغيرهم، فإن هؤلاء يقولون: إنـــه خالق أفعال العباد وكلامهم، مـــــع قولهم: إن كلامـــه مخلوق، فيلزمهم هذا " [2].

وقد تقدم الرد على هذه الشبهة بالتفصيل في الحديث عن دليل الحوادث الأعراض.

المطلب الثالث: قولهم في الحرف والصوت.

الـــنجارية يثبـــتون الحـــرف والصوت فيقولون: إن الله يتكلم بحرف و صوت، ولكن مع ذلك قالو إن كلامه مخلوق، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في الرد على أحد الكلابية:

" ولكـــن منازعوك في الصوت والحرف: جمهور الخلائق؛ إذ لم يوافق الكلابـــية على قولهم أحد من الطوائف لا الجهمية ولا المعتزلة ولا الضرارية ولا الـــنجارية ولا الكـــرامية ولا السالمية، ولا جمهور المرجئة والشيعة، ولا

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٧ / ٣٠٣ – ٣٠٤)، وانظر: درء تعارض العقل والـــنقل (١ / ٢٣٠، ٢٤٩، ١٠ / ٢٥٧)، بـــيان تلبـــيس الجهمية (٢ / ٥٧ – ٥٨)، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٥ / ٤٢٩، ٥ / ٥٤٤،)، منهاج السنة (٢ / ٦٠٩ – ٦١٢).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٢ / ١٤٩ – ١٥٠).

جمهـور أهـل الحـديث والفقـه والتـصوف، ولا الفلاسفة: لا الإلهيون ولا الطبائعيون على اختلاف أصنافهم.

وخـصومهم منهم من يقول: الحروف محدثة مخلوقة في محل منفصل عـن الله كما يقولون هم ذلك؛ لكن يقولون: هذا كلام الله ليس لله كلام غيره، كما أجمع المسلمون على أن هذا كلام الله؛ بل أجمعت الأمم على أن الكلام لا يعقل إلا كذلك..." (1).

وقـول الـنجارية: بإن الله يتكلم بحرف و صوت؛ حق موافق للكتاب والـسنة ومـا أجمع عليه السلف، ولكن قولهم بأنها مخلوقة كلام باطل منكر، وافقوا فيه المعتزلة، وقد تقدم الرد عليهم.

المبحث السادس: قولهم في العلو.

الـنجارية ينفون صفة العلو، وينكرون مباينة الله وعلوه على خلقه، و يقولـون: إن الله حـال بذاتـه فـي كل مكان (2)، تعالى الله عن ذلك، يقول الشهرستاني مبينا قول ابن النجار في هذه المسألة: " وحكى الكعبي عن النجار أنه قال: الباري تعالى بكل مكان ذاتا، ووجودا، لا معنى العلم والقدرة، وألزمه محالات على ذلك " (3).

وقـال شيخ الإسلام ابن تيمية وهو يذكر افترق الناس في علو الله على خلقه:

---

(1) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٢ / ١٨٩ – ١٩١).

(2) انظـر: درء تعـارض العقـل والـنقل (٦ / ١٧٨ – ١٧٩)، انظر: بيان تلبيس الجهمية (١ /٥٥٦)، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٧ / ٣٨٠)، شرح قصيدة الإمام ابن القيم (١ / ١٨٦، ١٩٣، ٢ / ٣٣٠، ٤٤٧)، تبيـين كـذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري (ص ١٥٠).

(3) الملل والنحل (١ / ١٠١).

" والقــول الثالث: قول حلولية الجهمية الذين يقولون: إنه بذاته في كل مكـــان كما يقول ذلك النجارية - أتباع حسين النجار - وغيرهم من الجهمية، وهــؤلاء القائلون بالحلول والاتحاد: من جنس هؤلاء، فإن الحلول أغلب على عــباد الجهمــية وصــوفيتهم وعامتهم، والنفي والتعطيل أغلب على نظارهم ومتكلميهم " [1].

وقال أيضا:

" وقــسم ثــان يقولون: إنه بذاته في كل مكان كما يقول ذلك النجارية وكثيــر مــن الجهمية عبادهم وصوفيتهم وعوامهم. ويقولون: إنه عين وجود المخلوقات. كما يقوله: أهل الوحدة القائلون بأن الوجود واحد ومن يكون قوله مركبا من الحلول والاتحاد " [2].

المناقشة:

" الــسلف والأئمة يقولون: إن الله فوق سمواته مستو على عرشه بائن من خلقه كما دل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وكما علم المباينة والعلــو بالمعقــول الصريح الموافق للمنقول الصحيح وكما فطر الله على ذلك خلقه؛ من إقرارهم به وقصدهم إياه سبحانه وتعالى " [3].

وقــول النجارية بنفي العلو والقول بالحلول قول باطل، وسأوضح بطلانه من الوجوه التالية:

الوجه الأول: أن القول بالحلول مخالف للقرآن والسنة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

" قــد وصــف الله تعالـــى نفــسه في كتابه وعلى لسان رسوله بالعلو والاستواء على العرش والفوقية في كتابه في آيات كثيرة حتى قال بعض أكابر

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢/ ٢٩٨).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٥ / ١٢٣)، و انظر: المصدر نفسه (٥ / ٢٢٨).

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢ / ٢٩٧).

أصـحاب الشافعي: في القرآن ألف دليل أو أزيد: تدل على أن الله تعالى عال على الخلق وأنه فوق عباده.

وقال غيره: فيه ثلاثمائة دليل تدل على ذلك " [1].

و"القـرآن والسنن المستفيضة المتواترة وغير المتواترة وكلام السابقين والتابعـين وسـائر القـرون الثلاثة: مملوء بما فيه إثبات العلو لله تعالى على عرشه بأنواع من الدلالات ووجوه من الصفات وأصناف من العبارات:

تـارة: يخبـر أنه خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش. وقد ذكر الاستواء على العرش في سبعة مواضع.

وتارة: يخبر بعروج الأشياء وصعودها وارتفاعها إليه كقوله تعالى: ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ [2] ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [3] ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ [4] وقـوله تعالـى: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ [5]. وتـارة يخبر بنزولها منه أو من عنده كقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [6] ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن

---

(1) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٥ / ١٢١).

(2) سورة: النساء ١٥٨.

(3) سورة: آل عمران ٢٥.

(4) سورة: المعارج ٤.

(5) سورة فاطر: ١٠.

(6) سورة الأنعام: ١١٤.

رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [1] ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ ﴾ [2] ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ ﴾ [3].

وتارة: يخبر بأنه العلي الأعلى كقوله تعالى: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ﴾ [4] وقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ۝٢٥٥ ﴾ [5].

وتـــارة: يخبر بأنه في السماء كقوله تعالى: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ۝١٦ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ﴾ [6]. فذكر السماء دون الأرض ولم يعلق بذلك ألوهـــية أو غيرها كما ذكر في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾ [7] وقـــال تعالـــى: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [8].وكـــذلك قـــال النبـــي ﷺ:((ألا تأمنونـــي وأنـــا أمين من في

(١) سورة النحل: ١٠٢.

(٢) سورة فصلت: ١ - ٢.

(٣) سورة الجاثية: ١ - ٢.

(٤) سورة الأعلى: ١.

(٥) سورة البقرة: ٢٥٥.

(٦) سورة الملك: ١٦ – ١٧.

(٧) سورة الزخرف: ٨٤.

(٨) سورة الأنعام: ٣.

السماء؟)) [1]، وقال للجارية: ((أين الله؟ قالت في السماء. قال: أعتقها فإنها مؤمنة)) [2].

وتارة: يجعل بعض الخلق عنده دون بعض كقوله تعالى: ﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ ﴾ [3].

ويخبر عمن عنده بالطاعة كقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ﴾ [4] فلو كان موجب العندية معنى عاما كدخولهم تحت قدرته ومشيئته وأمثال ذلك: لكان كل مخلوق عنده؛ ولم يكن أحد مستكبرا عن عبادته بل مسبحا له ساجدا وقد قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [5] وهو سبحانه وصف الملائكة بذلك ردا على الكفار المستكبرين عن عبادته وأمثال هذا في القرآن لا يحصى إلا بكلفة " [6].

و قال – رحمه الله تعالى – بعد أن سرد بعض الآيات والأحاديث الدالة على عظمة الله تعالى:

---

(١) أخرجه: البخاري في صحيحه، في كتاب أحاديث الأنبياء، رقم (٣٣٤٤)، و في كتاب المغازي، رقم (٤٣٥١)، و مسلم في صحيحه، في كتاب الزكاة، رقم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه: مسلم في صحيحه في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، (١ / ٣٨١، رقم ٥٣٧) من حديث معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه.

(٣) سورة الأنبياء: ١٩.

(٤) سورة الأعراف: ٢٠٦.

(٥) سورة غافر: ٦٠.

(٦) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٥ / ١٦٤ – ١٦٥).

" فمـــن هذه عظمته كيف يحصره مخلوق من المخلوقات سماء أو غير سـماء؟ حتى يقال: إنه إذا نزل إلى السماء الدنيا صار العرش فوقه أو يصير شيء من المخلوقات يحصره ويحيط به سبحانه وتعالى.

فـإذا قـال القائل: هو قادر على ما يشاء؛ قيل: فقل: هو قادر على أن ينزل سبحانه وتعالى وهو فوق عرشه وإذا استدللت بمطلق القدرة والعظمة من غير تمييز فما كان أبلغ في القدرة والعظمة؛ فهو أولى بأن يوصف به مما ليس كذلك؛ فإن من توهم العظيم الذي لا أعظم منه يقدر على أن يصغر حتى يحيط بــه مخلوقه الصغير وجعل هذا من باب القدرة والعظمة؛ فقوله: إنه ينزل مع بقاء عظمته وعلوه على العرش؛ أبلغ في القدرة والعظمة وهو الذي فيه موافقة الشرع والعقل " [1].

الوجه الثاني: أن القول بالحلول مخالف لإجماع السلف.

أنكر أئمة السلف قول الحلولية من الجهمية والنجارية وغيرهم، وحذروا الــناس مـــنه، وأمروا بالتمييز بين الرب والعبد، والخالق والمخلوق، والقديم والمحـــدث، وأن التوحيد الحق أن يعلم مباينة الرب لمخلوقاته وامتيازه عنها، وأنه ليس في مخلوقاته شيء من ذاته، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته [2].

وقد ورد عنهم آثار كثيرة حول هذا المعنى، منها:

١ - عـــن ابـــن المبارك أنه قيل له: بم نعرف ربنا؟ قال: **(بأنه فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه، ولا نقول كما قالت الجهمية: إنه هاهنا في الأرض)** [3].

---

(١) شرح حديث النـــزول، ضمن مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٥ / ٤٨٢ - ٤٨٣).

(٢) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٣ / ٢٣٩).

(٣) أخــرجه عبد الله بن أحمد في كتاب السنة (١ / ١١١ رقم ٢٢)، و(١ / ٣٠٧ رقم ٥٩٨)، و أخرجه البخاري في كتاب خلق الأفعال (٢ / ١٥ رقم ١٣)، والدارمي في الرد على بشر المريسي (١ / ٢٢٤)، وفــي الرد على الجهمية (ص ٤٧ رقم ٦٧، وص ٩٨ رقم ١٦٢)، والبيهقي في الأسماء والصفات (ص ٥٣٨)، وابن بطة في الإبانة، الكتاب الثالث، تتمة الرد على الجهمية (٣ / ١٥٥، ١٥٦ رقم ١١٢)، وابن قدامــة فــي العلــو (ص ١٧١ رقــم ٨٣)، وذكــره شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتوى الحموية الكبرى (ت-التويجري)، (ص ٣٣٦) وصحح أسانيده.

٢ – وقـــال حماد بن زيد عن الجهمية: (إنما يحاولون أن يقولوا: ليس في السماء شيء)[1].

٣ – وعـــن سعيد بن عامر الضبعي أنه ذكر عنده الجهمية فقال: (هم شر قولا من اليهود والنصارى، وقد اجتمع أهل الأديان مع المسلمين على أن الله تعالى على العرش، وقالوا هم: ليس على العرش شيء)[2].

٤ – وقـــال محمـــد بـــن إسحاق بن خزيمة: (من لم يقل: إن الله فوق ســـمواته على عرشه، بائن من خلقه، وجب أن يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه، ثم ألقي على مزبلة، لئلا يتأذى به أهل القبلة ولا أهل الذمة)[3].

٥ – وقـــال مالـــك بن أنس: (الله في السماء، وعلمه في كل مكان؛ لا يخلو من علمه مكان)[4].

---

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في كتاب السنة (١ / ١١٧ – ١١٨)، وابن أبي حاتم في الرد على الجهمية كما ذكر ذلك الذهبي في العلو (٢ / ٩١٤ رقم ٣٢٤)، و (٢ / ٩٧٠ رقم ٣٥٢)، وذكره ابـــن تيمية في الفتوى الحموية الكبرى (ت التويجري) (ص ٣٣٧) وصحح أسنناده، وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (ص ٩٦).

(٢) أخـــرجه ابن أبي حاتم في الرد على الجهمية كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتوى الحمـــوية الكبـــرى (ت التويجـــري) (ص٣٣٨)، وكما ذكره الذهبي في العلو(٢ / ١٠٣٣ رقم ٣٩١)، وذكـــره الـــبخاري في كتاب خلق الأفعال (ت عميرة) (ص ٣١)، وذكره ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (ص ١٦٤).

(٣) ذكره الحاكم في معرفة علوم الحديث (ص ٧٤)، وابن قدامة في العلو (ص١٨٥ رقم٩٦)، وذكـــره شـــيخ الإســـلام ابن تيمية في الفتوى الحموية الكبرى (ص ٣٤٠) وقال: " ذكره عنه الحـــاكم بإســـناد صحيح "، وذكره الذهبي في العلو (٢ / ١٢١٤ رقم ٤٨٦)، وفي تذكرة الحفاظ (٢ / ٧٢٨)، وفـــي الـــسير (١٤ / ٣٧٣)، وابـــن القـــيم في الصواعق المرسلة (٤ / ١٣٠٣)، واجتماع الجيوش الإسلامية (ص ١٤٧).

(٤) أخـــرجه عبد الله بن أحمد في كتاب السنة (١ / ١٠٦ – ١٠٧)، وابن عبد البر في التمهيد (٧ / ١٣٨)، واللالكائـــي فـــي شـــرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢ / ٤٠١)، وابن قدامة في إثبات صفة العلو (ص ١٦٦ رقم ٧٤).

٦ - وقـــال الأوزاعـــي: (كنا - والتابعون متوافرون - نقول: إن الله فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته) [١].

٧ - وقـــال الشافعي: (خلافة أبي بكر حق قضاه الله تعالى في سمائه، وجمع عليه قلوب عباده) [٢].

٨ - وقـــال أبو مطيع البلخي في كتاب الفقه الأكبر: (سألت أبا حنيفة عمـــن يقول: لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض. قال: قد كفر؛ لأن الله عز وجل يقول: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝ ﴾ [٣] وعرشه فوق سبع سمواته.

فقلت: إنه يقول: على العرش استوى ولكن لا يدري العرش في السماء أو في الأرض؛ فقال: إذا أنكر أنه في السماء كفر؛ لأنه تعالى في أعلى عليين؛ وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل) [٤].

٩- و قـــال أبـــو عيـــسى الترمذي: (هو على العرش كما وصف في كتابه، وعلمه وقدرته وسلطانه في كل مكان) [٥].

---

(١) أخـــرجه البيهقي في الأسماء والصفات (ص ٢ / ١٥٠)، و الذهبي في السير (٧ / ١٢٠ - ١٢١)، و ذكـــره شـــيخ الإســـلام ابـــن تيمية في الفتوى الحموية الكبرى (ت التويجري) (ص ٢٩٩ - ٣٠٠)، وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (ص ٩٦).

(٢) ذكـــره ابـــن قدامة في إثبات صفة العلو (ص ١٨١)، و شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتوى الحمـــوية الكبـــرى (ت التويجـــري) (ص ٣٤٦)، وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية وصححه (ص ١٢٣).

(٣) سورة طه: ٥.

(٤) الفقـــه الأكبـــر، روايـــة أبي مطيع البلخي، ت: الكوثري (ص ٤٩ - ٥٠)، و ذكره شيخ الإســـلام ابـــن تيمية في الفتوى الحموية الكبرى (ت التويجري) (ص ٣٢٤)، وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (ص ٩٩).

(٥) انظر: جامع الترمذي (ط: بيت الأفكار) (ص ٥٢٢، رقم ٣٢٩٨)، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الحديد.

١٠- وقال سفيان الثوري في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [1] قال: (علمه) [2]

١١ - وقال جرير بن عبد الحميد: (كلام الجهمية أوله شهد وآخره سم، وإنما يحاولون أن يقولوا: ليس في السماء إله) [3].

الوجه الثالث: أن القول بالحلول يلزم منه افتقار الخالق إلى غيره، واستغناء غيره عنه:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

" كل من وقع بنوع من الحلول لزم افتقار الخالق إلى غيره، واستغناء غيره عنه، فإن الحال في غيره إن لم يكن محتاجا إليه بوجه من الوجوه امتنع الحلول، سواء قيل: إن الحال قائم بنفسه أو بغيره.

فإن قال الحلولي: أنا أثبت حلولا لا كحلول الأجسام ولا الأعراض، وحينئذ فلا يلزم افتقاره فيه إلى غيره.

قيل: هذا لا حقيقة له، وهو كقول من قال: أثبت قيامه بغيره من غير احتياج إلى ذلك المحل الذي من شأنه أن يقوم ما قام فيه، لأن قيامه بالغير ليس كقيام الأجسام والأعراض، وأثبته في غيره لا مماسا له ولا مباينا له " [4].

---

(١) سورة الحديد: ٤.

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في كتاب السنة (١ /٣٠٧)، وابن عبد البر في التمهيد (٧ / ١٤٢)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣ / ٤٤٥ رقم ٦٧٢)، و ذكره ابن قدامة في إثبات صفة العلو (ص ١٦٦ رقم ٧٨)، وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (ص ٩٧).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في كتاب الرد على الجهمية كما ذكر ذلك ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (ص ١٦٧).

(٤) درء التعارض (١٠ / ٢٨٧ - ٢٨٨).

الوجه الرابع: في بيان حجتهم والجواب عنها.

احتج القائلون بالحلول ومنهم النجارية بنصوص المعية و القرب، وتأولوا نصوص العلو والاستواء:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

" وهم يحتجون بنصوص المعية و القرب، ويتأولون نصوص العلو والاستواء.

وكل نص يحتجون به حجة عليهم؛ فإن المعية أكثرها خاصة بأنبيائه وأوليائه، وعندهم أنه في كل مكان، وفي نصوصهم ما يبين نقيض قولهم؛ فإنه قال: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ ﴾ (١) فكل من في السموات والأرض يسبح والمسبح غير المسبح.

وقال: ﴿ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (٢) فبين أن الملك له؛ ثم قال: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ (٣).

وفي الصحيح: ((أنت الأول فليس قبلك شيء)) (٤)... إلخ.

فإذا كان هو الأول: كان هناك ما يكون بعده، وإذا كان آخرا كان هناك ما الرب بعده، وإذا كان ظاهرا ليس فوقه شيء كان هناك ما الرب ظاهر عليه، وإذا كان باطنا ليس دونه شيء كان هناك أشياء نفى عنها أن تكون دونه...

---

(١) سورة الحديد: ١.

(٢) سورة الحديد: ٢.

(٣) سورة الحديد: ٣.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (رقم ٢٧١٣) في كتاب الذكر والدعاء، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

والمعية لا تدل على الممازجة والمخالطة، وكذلك لفظ القرب، فإن عند الحلولــية أنه في حبل الوريد كما هو عندهم في سائر الأعيان؛ وكل هذا كفر وجهل بالقرآن " [١].

فتبــين أن الــنجارية تــركوا النصوص الكثيرة المحكمة المبينة وتعلق بنصوص قليلة اشتبهت عليهم معانيها [٢].

وأما " سلف الأمة وأئمتها: أئمة العلم والدين من شيوخ العلم والعبادة فإنهم أثبتوا وآمنوا بجميع ما جاء به الكتاب والسنة كله من غير تحريف للكلم: أثبــتوا أن الله تعالــى فوق سمواته وأنه على عرشه بائن من خلقه، وهم منه بائنون، وهو أيضا مع العباد عموما بعلمه، ومع أنبيائه وأوليائه بالنصر والتأييد والكفاية، وهو أيضا قريب مجيب؛ ففي آية النجوى دلالة على أنه عالم بهم.

وكــان النبــي ﷺ يقول: ((اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهــل)) [٣] فهو سبحانه مع المسافر في سفره ومع أهله في وطنه، ولا يلزم مــن هــذا أن تكــون ذاته مختلطة بذواتهم كما قال: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٥ / ١٢٣ – ١٢٤).

(٢) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٥ / ١٢٤).

(٣) أخــرجه مسلم في صحيحه (رقم ١٣٤٢) في كتاب الحج، باب ما يقول إذا ركب إلى سفر الحــج وغيــره، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، و (رقم ١٣٤٣) من حديث عبد الله بن ســرجس رضــي الله عنه. وأبو داود في سننه (رقم ٢٥٩٩) في كتاب الجهاد، باب ما يقول الرجل إذا سافر، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، و (رقم ٢٥٩٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. والترمذي في جامعه، (رقم ٣٤٣٨) في كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا خرج مسافرا، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، و (رقم ٣٤٣٩) من حديث عبد الله بن سرجس رضي الله عنه.

﴿ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ [1]: أي (معه على الإيمان) لا أن ذاتهم في ذاته بل هم مصاحبون له.

وقوله: ﴿ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [2] يدل على موافقتهم في الإيمان وموالاتهم، فالله تعالى عالم بعباده وهو معهم أينما كانوا وعلمه بهم من لوازم المعية " [3].

" وأما القرب: فذكره تارة بصيغة المفرد كقوله: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ ﴾ [4] وفي الحديث: ((أربعوا على أنفسكم)) إلى أن قال ((إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته))[5].

وتارة: بصيغة الجمع كقوله: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ [6]، وهذا مثل قوله: ﴿ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ ﴾ [7] و ﴿ نَقُصُّ عَلَيْكَ ﴾ [8] و ﴿ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾ [9] و ﴿ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ [10] فالقراءة هنا حين يسمعه من جبريل، والبيان هنا بيانه لمن يبلغه القرآن.

---

(١) سورة الفتح: ٢٩.

(٢) سورة النساء: ١٤٦.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٥ / ١٢٦ - ١٢٧).

(٤) سورة البقرة: ١٨٦.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه (رقم ٢٧٠٤) في كتاب الذكر والدعاء، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٦) سورة ق: ١٦.

(٧) سورة القصص: ٣.

(٨) سورة يوسف: ٣.

(٩) سورة القيامة: ١٧.

(١٠) سورة القيامة: ١٩.

ومذهب سلف الأمة وأئمتها وخلفها: أن النبي ﷺ سمع القرآن من جبريل، وجبريل سمعه من الله عز وجل.

وأما قوله: نتلوا ونقص ونحوه؛ فهذه الصيغة في كلام العرب للواحد العظيم؛ الذي له أعوان يطيعونه فإذا فعل أعوانه فعلا بأمره قال: نحن فعلنا. كما يقول الملك: نحن فتحنا هذا البلد. وهو منا هذا الجيش ونحو ذلك.

ومن هذا الباب قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ ﴾ [1] فإنه سبحانه يتوفاها برسله الذين مقدمهم ملك الموت كما قال ﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا ﴾ [2] ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ﴾[3] وكذلك ذوات الملائكة تقرب من المحتضر.

وقوله: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ [4].

فإنه سبحانه وتعالى هو وملائكته: يعلمون ما توسوس به نفس العبد من حسنة وسيئة والهم في النفس قبل العمل. فقوله: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ [5] هو قرب ذوات الملائكة وقرب علم الله؛ فذاتهم أقرب إلى قلب العبد من حبل الوريد؛ فيجوز أن يكون بعضهم أقرب إلى بعضه من بعض؛ ولهذا قال في تمام الآية: ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ ﴾ [6] فقوله (إذ)

---

(١) سورة الزمر: ٤٢.

(٢) سورة الأنعام: ٦١.

(٣) سورة السجدة: ١١.

(٤) سورة ق: ١٦.

(٥) سورة ق: ١٦.

(٦) سورة ق: ١٧.

ظـرف. فأخبر أنهم أقرب إليه من حبل الوريد حين يتلقى المتلقيان ما يقول. فهذا كله خبر عن الملائكة.

وقـوله: ﴿ فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ (١) ((وهـو أقرب إلى أحـدكم من عنق راحلـته)) (٢) هـذا إنما جاء في الدعاء لم يذكر أنه قريب من العباد في كل حـال، وإنما ذكر ذلك في بعض الأحوال كما في الحديث: ((أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد)) (٣) ونحو ذلك.

وقوله: ((من تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا، ومن تقرب إلي ذراعا تقـربت إلـيه باعـا، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة)) (٤)، فقرب الشيء من الشيء مستلزم لقرب الآخر منه؛ لكن قد يكون قرب الثاني هو اللازم من قرب الأول، ويكون منه أيضا قرب بنفسه.

فـالأول: كمـن تقرب إلى مكة أو حائط الكعبة، فكلما قرب منه قرب الآخر منه من غير أن يكون منه فعل.

والثانـي: كقرب الإنسان إلى من يتقرب هو إليه كما تقدم في هذا الأثر الإلهي.

فتقـرب العبد إلى الله وتقريبه له نطقت به نصوص متعددة مثل قوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ ﴾ (٥) ونحو ذلك فهذا قرب الرب نفسه إلى عبيده وهو مثل نزوله إلى سماء الدنيا.

---

(١) سورة البقرة: ١٨٦.

(٢) مضى تخريجه في الصفحة السابقة.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (رقم ٤٨٢) في كتاب الصلاة، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخـرجه البخاري في صحيحه (رقم ٧٤٠٥) في كتاب التوحيد، ومسلم في صحيحه (رقم ٢٦٧٥) في كتاب الذكر والدعاء، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) سورة الإسراء: ٥٧.

وفي الحديث الصحيح: ((إن الله تعالى يدنو عشية عرفة ويباهي الملائكة بأهل عرفة)) [١]، فهذا القرب كله خاص في بعض الأحوال دون بعض وليس في الكتاب والسنة - قط - قرب ذاته من جميع المخلوقات في كل حال؛ فعلم بذلك بطلان قول الحلولية؛ فإنهم عمدوا إلى الخاص المقيد فجعلوه عاما مطلقا؛ كما جعل إخوانهم الاتحادية ذلك في مثل قوله: ((كنت سمعه)) [٢]، وقوله ((فيأتيهم في صورة غير صورته)) [٣]، وأن الله تعالى قال على لسان نبيه: ((سمع الله لمن حمده)) وكل هذه النصوص حجة عليهم.

فإذا تبين ذلك؛ فالداعي والساجد يوجه روحه إلى الله تعالى؛ والروح لها عروج يناسبها. فتقرب إلى الله بلا ريب بحسب تخلصها من الشوائب فيكون الله عز وجل منها قريبا قربا يلزم من تقربها؛ ويكون منه قرب آخر؛ كقربه عشية عرفة، وفي جوف الليل، وإلى من تقرب منه شبرا تقرب منه ذراعا.

والناس في آخر الليل يكون في قلوبهم من التوجه والتقرب والرقة ما لا يوجد في غير ذلك الوقت. وهذا مناسب لنزوله إلى سماء الدنيا وقوله: ((هل من داع؟ هل من سائل؟ هل من تائب)) [٤]؟ " [٥].

---

(١) أخرجه بنحوه مسلم في صحيحه (رقم ١٣٤٨) في كتاب الحج، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) قطعة من حديث الولي أخرجه البخاري في صحيحه (رقم ٦٥٠٢) في كتاب الرقاق، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) قطعة من حديث طويل أخرجه البخاري في صحيحه (رقم ٦٥٧٣) في كتاب الرقاق، ومسلم في صحيحه (رقم ١٨٢) في كتاب الإيمان، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، واللفظ لمسلم.

(٤) قطعة من حديث النزول أخرجه البخاري في صحيحه (رقم ١١٤٥) في كتاب التهجد، و(رقم ٦٣٢١) في كتاب الدعوات، و (رقم ٧٤٩٤) في كتاب التوحيد، ومسلم في صحيحه (رقم ٧٥٨) في كتاب صلاة المسافرين، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، واللفظ لمسلم.

(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٥ / ١٢٨ - ١٣١).

فالخلاصة: أن " كل من قال: إن الله بذاته في كل مكان فهو مخالف للكتاب، والسنة، وإجماع سلف الأمة وأئمتها، مع مخالفته لما فطر الله عليه عباده، ولصريح المعقول وللأدلة الكثيرة " (١).

فسلف الأئمة وأئمتها وأفضل قرونها متفقين على قول أهل الإثبات مخالفين لأقوال الجهمية والحلولية.

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٥ / ١٢٥، ٢٣٠).

الخاتمـــــــة

الحمد لله الذي أعان على إتمام هذا البحث المتعلق بالنجارية و موقفهم من التوحيد، وقد توصلت فيه بحمد الله إلى النتائج التالية:

- أن الـــنجارية فرقة مستقلة بأصولها، وأفكارها، ولكنهم وافقوا المعتزلة و الجبرية و المرجئة في بعض أصولهم.
- أن النجارية: هم أتباع أبي عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الله النجار.
- أن النجارية يلقبون بعدة ألقاب منها: النجارية، والحسينية.
- أن الـــنجارية ظهـــرت في أول القرن الثالث الهجري، وكان موطنهم في الري.
- أن النجارية لهم كتب كثيرة جلها لرئيسهم الحسين بن محمد النجار.
- أن أشهر فرق النجارية ثلاث هي: البرغوثية، والزعفرانية، والمستدركة، ولكل فرقة آراء وأفكار خاصة بها.
- أن الـــضرارية توافـــق الـــنجارية في كثير من أصولها كالجمع بين نفي الصفات والرؤية وبين إثبات القدر.
- أن محمد ابن التومرت وضع عقيدة المرشدة وهي تشبه قول النجارية.
- أن طـــريقة ابـــن الأصـــفهاني وأصحابه تشبه من بعض الوجوه طريقة النجارية، حيث أنهم ينفون الصفات، ويثبتون القدر.
- أن التوحـــيد عند النجارية هو قولهم: بأن الله واحد لا شبيه له، ويريدون بذلك نفي الصفات.
- أن التوحيد عندهم له ثلاث معان: أنه واحد في نفسه لا صفة له ولا قدر، وواحد في صفاته لا شبيه له، وواحد في أفعاله لا شريك له، وهذا التقسيم بدعة مخالف لما دل عليه الكتاب والسنة.
- أن الـــنجارية يجـــوزون حـــصول المعـــرفة بالـــرب سبحانه عن طريق الضرورة، وهذا القول هو القول الصحيح.

- أن النجارية اعتمدوا على طريقة الأعراض وحدوث الأجسام، في إثبات وجود الله، وهذا دليل مبتدع في الدين أحدثه أهل الكلام.
- أن النجارية ينفون الجوهر الفرد، ولا يقولون إن الأجسام والأعيان المشهودة مركبة من الجواهر الفردة، ولا من المادة والصورة، وهذا هو الصواب.
- أن النجارية يثبتون الأسماء الحسنى لله تعالى، وهذا هو الحق.
- أن النجارية وافقوا المعتزلة في قولهم: الاسم غير المسمى، و أسماء الله مخلوقة، وهذا قول باطل، والحق أن يقال: أسماء الله غير مخلوقة، والاسم للمسمى.
- أن ابن النجار أول اسم النور، وزعم أنه بمعنى الهادي، كما أولته الجهمية، وهو مخالف لقول أهل السنة الذين يثبتون اسم النور.
- أن النجارية وافقوا المعتزلة على نفي الصفات، وهذا قول باطل.
- أن النجارية وافقوا الجهمية على قولهم بأن القرآن مخلوق، وهذا قول باطل مخالف لما أجمع عليه الصحابة والتابعون، وسائر أهل السنة والجماعة، من أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق.
- أن النجارية يثبتون الحرف والصوت، وهذا حق.
- أن النجارية ينفون صفة العلو، وينكرون مباينة الله وعلوه على خلقه، و يقولون: إن الله حال بذاته في كل مكان، تعالى الله عن ذلك، وهذا قول فاسد مخالف للكتاب والسنة، وإجماع سلف الأمة، والعقل الصريح، والفطرة السليمة.

هذا والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد.

فهرس المصادر و المراجع

١- **الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، الكتاب الثالث، تتمة الرد على الجهمية**، لأبي عبد الله عبيد الله بن بطة العبكري، تحقيق: د. الوليد بن سيف النصر، دار الراية، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ.

٢- **إثبات صفة العلو**، لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، المتوفى سنة ٦٢٠ هـ، تحقيق: د. أحمد الغامدي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م.

٣- **اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية**، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، المتوفى سنة ٧٥١، تحقيق: بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان، دمشق، الطبعة: الأولى ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.

٤- **الأسماء والصفات**، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، المتوفى سنة ٤٥٨ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

٥- **أصول الدين**، لعبد القاهر بن طاهر البغدادي، المتوفى سنة ٤٢٩ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠١ - ١٩٨١ م.

٦- **الاعتصام**، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الغرناطي الشاطبي، تحقيق: سليم الهلالي، دار ابن عفان، الخبر، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ.

٧- **اعتقادات فرق المسلمين والمشركين**، لمحمد بن عمر الرازي، تعليق: محمد البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م.

٨- **الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث**، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، المتوفى سنة ٤٥٨ هـ، تحقيق: أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠١ هـ.

٩- **بدائع الفوائد**، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية، المتوفى سنة ٧٥١، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا وآخرون، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.

١٠- **البدء والتأريخ**، مطهر بن طاهر المقدسي، المتوفى سنة ٥٠٧، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

١١- **البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان**، لأبي الفضل عباس بن منصور السكسكي، الحنبلي، المتوفى سنة ٦٨٣ هـ، تحقيق: د. بسام العموش، مكتبة المنار، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

١٢- **التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين**، لأبي المظفر الاسفرايني، المتوفى سنة ٤٧١ هـ، تحقيق: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

١٣- **تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري**، لعلي بن الحسن بن عساكر، المتوفى سنة ٥٧١ هـ، دار الفكر، دمشق، الطبعة: الثانية، ١٣٩٩ هـ.

١٤- **تذكرة الحفاظ**، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، المتوفى سنة ٧٤٨ هـ، دار إحياء التراث العربي.

١٥- **التعريفات**، لعلي بن محمد الجرجاني، مكتبة لبنان، بيروت، طبعة: ١٩٩٠ م.

١٦- **تقريب التهذيب**، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المتوفى سنة ٨٥٢ هـ، تحقيق: صغير أحمد شاغف الباكستاني، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٦ هـ.

١٧- **تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية**، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، المتوفى سنة ٧٢٨ هـ، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، دار القاسم، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ.

١٨- **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، لأبي عمر يوسف بن عبد البر القرطبي، المتوفى سنة ٤٦٣ هـ، تحقيق: عبد الله بن الصديق، موسسة قرطبة.

١٩- **تهذيب التهذيب**، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المتوفى سنة ٨٥٢ هـ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٢٠- **توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم**، لأحمد بن إبراهيم بن عيسى، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٦ هـ.

٢١- **جامع الترمذي**، لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، المتوفى سنة ٢٧٩ هـ، بيت الأفكار الدولية، الرياض.

٢٢- جامـــع الرسائل، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، المتوفى سنة ٧٢٨ هـــ، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، دار المدني، جدة، الطبعة: الثانية، ١٤٠٥ هـــ - ١٩٨٤ م.

٢٣- الجواهـــر المـــضية في طبقات الحنفية، عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء القرشي أبو محمد، ٧٧٥ هـــ، دار مير محمد كتب خانه، كراتشي.

٢٤- خلق أفعال العباد، لمحمد بن إسماعيل البخاري، المتوفى سنة ٢٥٦ هـــ، تحقيق: فهـــد بـــن ســـليمان الفهـــيد، دار أطلـــس الخضراء، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـــ - ٢٠٠٥ م.

٢٥- درء تعارض العقل والنقل، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، المتوفى سنة ٧٢٨ هـــ، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠١ - ١٩٨١ م.

٢٦- ذكر مذاهب الفرق الثنتين وسبعين المخالفة للسنة والمبتدعة، لعبد الله بن أسعد اليافعـــي، تحقيق: موسى سليمان الدويش، دار البخاري، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـــ.

٢٧- الرد على الجهمية، لأبي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، دار ابن الأثير، الكويت، الطبعة: الثانية، ١٤١٦ هـــ - ١٩٩٥ م.

٢٨- الـــرد على المنطقيين، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، المتوفى سنة ٧٢٨ هـــ، إدارة ترجمان السنة، لا هور،الطبعة: الرابعة ،١٤٠٢ هـــ- ١٩٨٢م.

٢٩- رفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر، لمرعي بن يوسف بن أبـــي بكر بن أحمد الكرمي الحنبلي المقدسي، المتوفى سنة ١٠٣٣ هـــ تحقيق: أسعد محمد المغربي، دار حراء، مكة المكرمة، الطبعة: الأولى ١٤١٠ هـــ.

٣٠- الروح، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، المتوفى سنة ٧٥١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥ هـــ - ١٩٧٥ م.

وطـــبعة دار الكـــتب العلمـــية، تحقـــيق: محمـــد اسكندر يلدا، الطبعة: الأولى، ١٤٠٢ هـــ - ١٩٨٢ م.

٣١- ســـنن أبـــي داود، للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، المتوفى سنة ٢٧٥ هـــ، بيت الأفكار الدولية، الرياض.

٣٢- السنة، لأبي بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال، المتوفى سنة ٣١١ هـ، تحقيق: د. عطية الزهراني، دار الراية، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ.
٣٣- السنة، لعبد الله بن أحمد بن حنبل، المتوفى سنة ٢٩٠ هـ، تحقيق: د. محمد بن سعيد القحطاني، رمادي للنشر، الطبعة: الثانية، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.
٣٤- سير أعلام النبلاء، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، المتوفى سنة ٧٤٨ هـ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وآخرون، دار الرسالة، بيروت، الطبعة: التاسعة، ١٤١٣ هـ ١٩٩٣ م.
٣٥- شرح الأصبهانية، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، المتوفى سنة ٧٢٨ هـ، تحقيق: محمد السعوي، مطبوع على الآلة الكاتبة.
٣٦- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، لأبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري، اللالكائي، المتوفى سنة ٤١٨ هـ، تحقيق: د. أحمد الغامدي، دار طيبة، الطبعة: الثالثة ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.
٣٧- الشريعة، لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري، المتوفى سنة ٣٦٠ هـ، دار الوطن، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
٣٨- صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، المتوفى سنة ٢٥٦ هـ، دار السلام، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
٣٩- صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م.
٤٠- صريح السنة، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، بدر بن يوسف المعتوق، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ.
٤١- الصفدية، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، المتوفى سنة ٧٢٨ هـ، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، دار الهدي النبوي، مصر، الطبعة: الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
٤٢- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزية، المتوفى سنة ٧٥١، تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، الطبعة: الثانية ١٤١٢ هـ.

٤٣- **طبقات الفقهاء**، إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي، أبو إسحاق، ٤٧٦ هـ، تحقيق: خليل الميس، دار القلم، بيروت.

٤٤- **عقائد الثلاث والسبعين فرقة**، لأبي محمد. اليمني، من علماء القرن السادس الهجري، تحقيق: محمد بن عبد الله الغامدي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ.

٤٥- **العقيدة الأصفهانية**، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، المتوفى سنة ٧٢٨ هـ، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

٤٦- **العلو للعلي العظيم** ، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، المتوفى سنة ٧٤٨ هـ، تحقيق: عبد الله البراك، دار الوطن، الرياض، الطبعة: الأولى ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

٤٧- **غاية المرام في علم الكلام**، لعلي بن أبي علي الآمدي، تحقيق: حسن محمود، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة سنة: ١٣٩١ هـ.

٤٨- **الغنية لطالبي طريق الحق**، لعبد القادر الجيلاني، تعليق: عصام الحرساني، دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

٤٩- **الفتوى الحموية الكبرى** لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تحقيق: حمد بن عبد المحسن التويجري، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م، دار العصيمي، الرياض.

٥٠- **الفرقان بين الحق والباطل**، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، المتوفى سنة ٧٢٨ هـ، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، مكتبة دار البيان، بيروت، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

٥١- **الفرق بين الفرق**، لعبد القاهر بن طاهر البغدادي، المتوفى سنة ٤٢٩ هـ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة.

٥٢- **الفقه الأكبر**، رواية أبي مطيع البلخي، ضمن مجموعة العالم والمتعلم، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، مطبعة الأنوار، القاهرة، طبع سنة: ١٣٦٨ هـ، الناشر مكتبة الخانجي.

٥٣- **الفهرست**، لابن النديم، تعليق: إبراهيم رضوان، دار المعرفة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.

٥٤- **لسان الميزان**، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المتوفى سنة ٨٥٢ هـ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، مصورة عن طبعة مجلس دائرة المعارف، الهند.

٥٥- **لمع الأدلة في قواعد أهل السنة والجماعة**، لأبي المعالي عبد الملك الجويني، تحقيق: د. فوقية حسين، عالم الكتب، بيروت، الثانية سنة: ١٩٨٧ م.

٥٦- **مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن ابن تيمية**، المتوفى سنة ٧٢٨ هـ، جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي، وساعده ابنه محمد، طبعة الرياض.

٥٧- **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، المكتب الإسلامي.

٥٨- **معرفة علوم الحديث** للحاكم، اعتنى به د. السيد معظم حسين، الطبعة الثانية، ١٩٧٧م، المكتب التجاري، بيروت.

٥٩- **مقالات الإسلاميين واختلاف المصليين**، لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، المتوفى سنة ٣٣٠ هـ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥م.

٦٠- **الملل والنحل**، لمحمد بن عبد الكريم الشهرستاني، المتوفى سنة ٥٤٨ هـ، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة، ١٤١٦ هـ ١٩٩٦ م.

٦١- **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية**، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، المتوفى سنة ٧٢٨ هـ، تحقيق: محمد رشاد سالم، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦.

٦٢- **المواقف**، لعضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، المتوفى سنة ٧٥٦ هـ، تحقيق: د.عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٧ م.

٦٣- **النبوات**، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، المتوفى سنة ٧٢٨ هـ، تحقيق: د. عبد العزيز الطويان، أضواء السلف، الطبعة: الأولى ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

٦٤- **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، لأبي المحاسن يوسف بن تغري الأتابكي، المتوفى سنة ٨٧٤ هـ، مصورة عن دار الكتب.

٦٥- **نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد**، تحقيق: د. رشيد الألمعي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.

٦٦- **وفـيات الأعيان وأنباء الزمان**، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكـر بن خلكان، المتوفى سنة ٦٨١ هـ، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت سنة: ١٩٦٨ م.